

محمود شاكر



المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٣٩٨هـ. ـ ١٩٧٨م.

المكتب الاسلامي

بيروت ص. ب. ١١٣٧٧١ هاتف ٤٥٠٦٣٨ برقياً : اسلاميا
دمشق ص. ب. ٨٠٠ هاتف ١١١٦٣٧ برقيا : اسلامي

المقـــدّمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد ابن عبد الله الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فإن أحب شيء إلى النفس أن تتعرّف على منطقةٍ كانت حاضرة المناطــق ثم غيّبتها الأيام ونسيهـــا سكان الزمان ، وتقاسمتها الـــدول فأغفل المؤرخون ذكرها وأهمل الباحثون دراستها حيث ضمت إلى أراض واسعة فضاعت لصغرها النسبي وكان الضياع مقصودا والإهمال متعمداً . كانت مدنها العامرة نسبا لعلمائها الذين ملؤوا الدنيا علما فعرفتهم أقاصي المعمورة ، وطوف ذكرهم البلاد علـــى حين زالت مدنهم وامحت آثارها أو استبدل باسمها آخر وطمست معالمهـــا ، ولعل أبرز منطقة ينطبق عليها هذا هي خراسان التي أخرجت أوائل المفسرين وأشهر علماء الحديث وأنبغ كتاب التاريخ وأهم العلماء في الفنون المختلفة من جغرافية ورياضيات وفيزياء وكيمياء وطب وفلسفة ويكفي أن نعرف منهم الطبري والبخـــاري والنسائـــي والترمذي والبيهقي والمروزي والخوارزمي والفارابي والابيوردي وابن سينا لندرك أهمية هذه المنطقة ولنعرف علو كعب أبنائهـــا في العلم وأهمية تاريخها علينا وعلى حضارتنا .

إن أحب شيء إلى النفس أن تعرف عالما طار صيته ثم تعلم موقع بلده لتقرن العلم بالمكان والسمع بالحس والمعرفة بالبيئة والنبوغ بالمصدر ، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلاتصل وتفتش فلا تعرف إذ ضاع الماضي واندثر الفن وزالت عنه لمسات اليد الأخيرة وندبت الحضارة أيامها الخوالي . وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرّفها على ذلك المكان ويدلها على تلك المنطقة إذ أهملوا واجبهم وغفلوا عن تاريخهم ، ولعل أشهر منطقة أصابها هذا المصاب الاليم هي خراسان التي ضاعت من مصورها بيهق وفاراب وأبيورد ومرو الروذ وزمخشر والطالقان والصغانيان .

إن أحب شيء إلى النفس أن تحيي ما اندثر ، وأن تظهر ما ضاع ، وتخرج من بطون الكتب مانسي فتقدم للامة عبرة مماحدث لتستفيد مما وقع فتحرص ألا يتكرر وتعمل عى سد مابان من ثغرات فتكون النفس بناءة عاملة وتكون الامة متيقظة ساهرة .

إن أحب شيء إلى النفس أن تعرف ما يصيب إخوانها في بلاد حجبت عنها أحوالهم وانقطعت عنها أخبارهم إذ لامنتقل منها ولامتحدث باسمها ولازائر إليها ... قتل من أبنائها الكثير وشرد الأكثر ، وأحلّ مكانهم غيرهم من غير دينهم ومن غير أبناء جلدتهم حيث لايجمع بين الطرفين جامع ولايربط بينهم رابط ، وجاء النازلون الجدد ينادون بأنهم قد عمروا الارض ونهضوا بها وأخذوا بأيدي أهلها نحو المدنية وعرّفوا سكانها بالحضارة ،

وما سقوا بعضهم كأس الموت إلا لأنهم وقفوا في وجه الإصلاح و٠ هذا ما حلّ بأكبر جزء من خراسان وهو الذي يعرف الآن باسم بلاد التركمان ، ويشكل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفييتي الاتحادية ، وتسمى « تركمانستان » ٠

لهذا أحببت أن أقدم هذا البحث القصير عن هذه المنطقة المهمة في تاريخنا العزيزة على قلوبنا ليتعرف أبناء الإسلام عليها وليعلموا ما حلّ ببعض إخوانهم فيها فيكون لهم درساً عسى أن ينفعهم للعلم ويدفعهم للعمل ٠ وكان أساس هذا البحث موضوعاً نشر في مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض ٠

والله نسأل أن يسدّد خطانا وأن يهدينا إلى سواء السبيل فهو نعم المولى ونعم النصير ٠

جغرافية خراسان

خراسان منطقة طبيعية واسعة تحيط بها الجبال من الجنوب فتكون لها حدوداً ، فتتاخمها مناطق قومس [١] وقوهستان [٢] وسجستان[٣] وغزنه[٤] ، ويساير أرضها من الشرق نهر جيحون [٥] ، وتتصل من الشمال بصحراء خُوارزم[٦] ويحدها من الغرب بحر الخزر ، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، ويعدّ بلاد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك ، وإنما ذكر

---

(١) قومس : كورة كبيرة واسعة بين الري ونيسابور، في سفوح جبال طبرستان الجنوبية .

(٢) قوهستان : وهي الاقليم الجبلي بين هراة ونيسابور ، ومن مدنها قاين ، وهي قصبتها ، وطبس .

(٣) سجستان : ولاية كبيرة جنوبي هراة ، حاضرتها زرنج ، وأرضها كلها رملية ، وفيها عدد من السبخات .

(٤) غزنة : ولاية واسعة وقصبتها غزنة أو غزنين ، وهي في طرف خراسان .

(٥) نهر جيحون : يصب في بحيرة (خوارزم) ، وكانت البلاد التي وراءه يطلق عليها (بلاد ماوراء النهر) .

(٦) خوارزم : ليس اسما لمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها فأما قصبتها فهي الجرجانية .

البلاذري هذا لأن جميع ماذكره من البلاد كان مضموماً إلى والي خراسان ، وكان اسم خراسان يجمعها ، فأما ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة [1] ولاية برأسها ، وكذلك غيرها .

تشمل خراسان أراضي منخفضة يقلّ ارتفاعها عن ١٠٠٠م ، وهي المنطقة التي تخضع اليوم لحكم الروس وتعرف باسم (بلاد التركمان) ، كما تشمل السفوح الجبلية المشرفة على هذه الأراضي والتي تجري مياهها ويكون مستواها الأساسي ، إما نهر جيحون وهذا شأن الجزء الذي يقع ضمن بلاد الأفغان ، وقد لاتصل سيولها إلى النهر إذ تغيض في الرمال ، أو تبخرها شدة الحرارة قبل وصولها إليه ، وذلك لقلة منسوبها وضعف ما تتلقاه من مطر وصغر المساحة التي تغذّيها ، وهذه حال عدد من السيول تتجه مجاريها نحو النهر ولكن لاتدركه ، وإما أن يكون مستواها الأساسي بحر الخزر وهذا شأن البلاد التي تضم شمالي خراسان الإيرانية وطبرستان [2] والتي يجري فيها نهرا (أترك) و (جرجان) ، وهناك مناطق تنساب مياهها نحو الداخل لتنتهي

---

(١) الهياطلة : اسم لقبائل كانت تنتقل في بلاد ماوراء النهر ، وتعود الى أصل تركي .

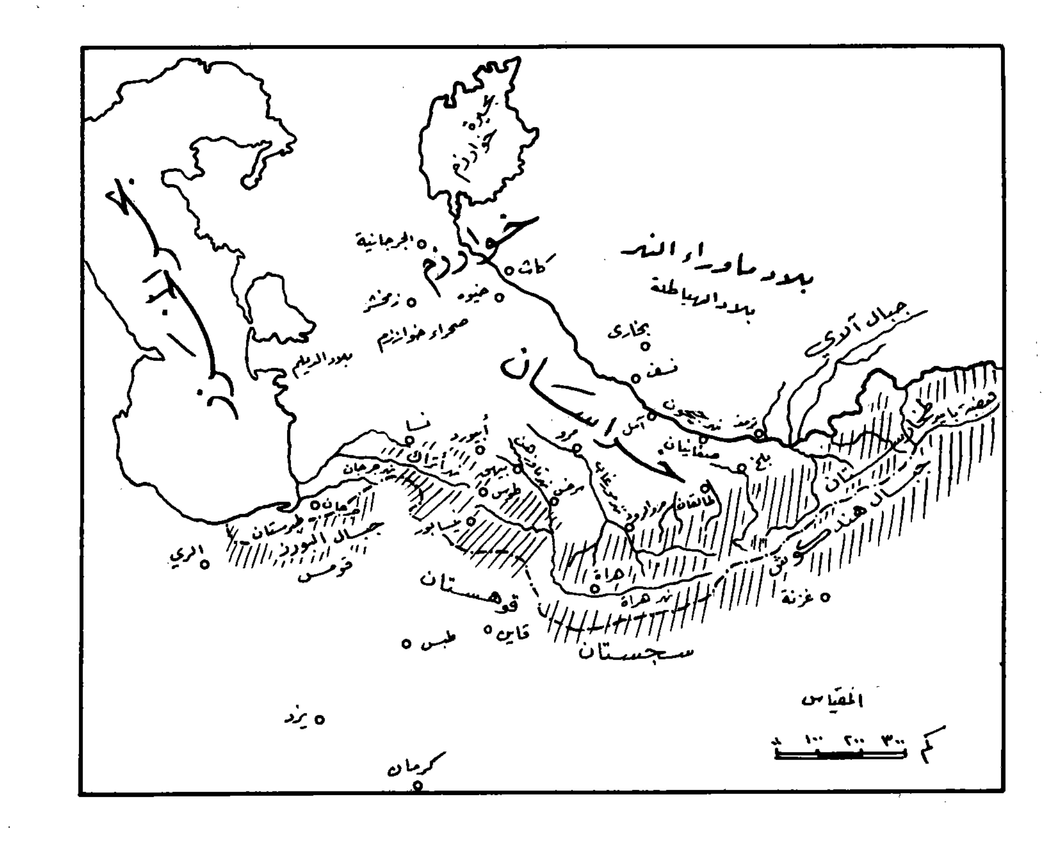
(٢) طبرستان : البلاد المعروفة بمازندران ولا أدري متى سميت بمازندران فانه اسم لم نجده في الكتب القديمة وإنما يسمع من أفواه تلك البلاد ولاشك انهما واحد ، وهذه البلاد مجاورة لجيلان وديلمان ، وهي بين الري وقومس البحر وبلاد الديلم والجبل . «معجم البلدان» .

في حوضات مغلقة ، أو تغيض سيولها في الرمال كما هي الحال في بقية أجزاء خراسان •

ولعل هذه الطبيعة هي التي جعلت السكان يطلقون هذا الاسم « خراسان » على المنطقة ، إذ يرون الشمس وكأنها بزغت منها ، وهم على مرتفعات إيران الشرقية ، فالشمس في الفارسية الدرية « خُر » ، وتعني « أسان » أصل الشيء ومكانه في اللغة نفسها ، وعلى هذا تعني كلمة خراسان « مطلع الشمس » ، ولكن الأسماء كثيراً ما تحمل أكثر من تعليل واحد ، فهناك رواية تقول : إن (خراسان) هو ابن عالم بن سام بن نوح ، وقد خرج من بابل مع أخيه « هيطل » عندما تبلبلت الألسن ، ونزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه فأقام خراسان في هذه المنطقة فعرفت باسمه ، وحلّ « هيطل » في بلاد ما وراء النهر فسميت ببلاد (الهياطلة) •

وهذا الموقع جعل المنطقة قليلة الأمطار ، فبعدها عن البحار وإحاطة المرتفعات التي تقف في وجه الرياح القادمة من الغرب والتي تقلّ إليها السحاب ، ويعدّ بحر الخزر ضعيف الآثار أو عديمها لضيقه وانخفاضه وانغلاقه ووقوعه أيضا وراء الجبال التي تقف كأنها سد في الجهة الغربية منه •

هذا الموقع بين خطي عرض ٢٤ ـ ٤٠ شمالاً جعل المنطقة ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط ذي الصيف اللافح الجاف والشتاء المعتدل المطير ، إلا أن الموقع الذي تكلمنا عنه في البعد عن البحار ووقوعه خلف الجبال جعل المنطقة صحراوية أو شبه



بحر الخزر
بحيرة خوارزم
خوارزم
الجرجانية
كاث
خيوه
زمخشر
صحراء خوارزم
بلاد الديلم
بلاد ما وراء النهر
بلاد الهياطلة
بخارى
نسف
جبال آلاي
خراسان
نسا
أبيورد
آمل
مرو
صغانيان
بلخ
طوس
نيسابور
جرجان
طبرستان
جبال البورز
قومس
الري
قوهستان
هراة
نهر هراة
غزنة
قاين
طبس
سجستان
جبال هندكوش
يزد
كرمان
المقياس
كم ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠

صحراوية ، إذ أنها تتلقى أمطاراً تقل عن ٢٠٠ مم والبقاع التي تقل أمطارها عن هذه الكمية تعد صحراوية ، وإن حرارة الصيف اللاهب استطاعت أن تبخر كميات من المياه المتجمعة في بعض الحوضات على شكل بحيرات صغيرة أو مستنقعات قليلة إذ تهطل عليها بعض الأمطار الضئيلة في فصل الشتاء ، أو تنتهي فيها بعض المجاري المائية التي تنساب إليها من المرتفعات ولاتستطيع تجاوزها لقلة وشح مياهها وشدة التبخر • إلا أن الجداول المنسابة من الجبال الشاهقة التي تتلقى لارتفاعها الأمطار أو تغطيها الثلوج ، والتي تقع خارج نطاق خراسان ولكنها تجري إليها ، تجعل في تلك الصحراء واحاتٍ خضراء على طول مجاريها وبلاداً عامرة عند انتهاء مياهها ، وعلى هذا تتعاقب الأشرطة الخضر والصحارى القفر ، فتقوم في الأولى حياة حضرية مستقرة وتعيش في الثانية قبائل بدوية مرتحلة ••• إذا ساء المناخ وأجدب عمل الحضر رعاةً وإذا ضاق البدو بترحالهم لجؤوا إلى الاستقرار • وقد اكتسب السكان بهذا ميزات البدو الحسنة كلها من شجاعة وأصالة ونبوغ وصفاء في الفكر ، وأخذوا من صفات الحضر النشاط والدأب والاستقامة والنظر إلى المستقبل والأمل بالخير • وإذا أخصبت السماء أمدت الأرض بمزيد من الغيث فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت السفوح والوهاد كلها خضراء مزدانة بأنواع الزهور الطبيعية المختلفة الألوان لايشذ وادٍ ولايختلف مرتفع منسوب المياه في الأودية ، وقد تشكل مستنقعات قبل أن تغيض في

الرمال ، أو إذ مرت على منطقة مستوية كثيمة الصخور ، وربما أضرّت بالناس لما تسبّبه من أمراض وما تنشره من حميّات ، وإذا أجدبت عليهم السماء أمحلت الأرض وظمىء الإنسان بعد ارتواء وشرب رنقاً بعد صاف ، وعطش الحيوان والنبات بعد زيادة في الماء ، وغادر سكان الواحات أماكنهم ، وانتقلوا وراء حيواناتهم مجالاً جديداً للعمل غير الذي كانوا يمارسونه ، ومهنة غير التي كانوا يزاولونها ، وبدت الأشجار وكأنها تخلع ثوبها الأخضر لتلبس آخر أصفر أو تعرّت نهائياً من الأوراق بعد اكتسائها ، ويغالبها الذبول بعد نضرتها ، وغدت البساتين كأن لم تغن بالأمس ، وذبلت الأعشاب وذوت بعد حيوية كانت عليها وأصبحت هشيماً تذروه الرياح ، وامتدت الصحراء حتى طغت ، ولهذا نستطيع أن نقول : إن الحياة هناك كانت شبه مستقرة أو نصف حضرية .

إذا ساد الأمن أورقت الحضارة أيما إيراق وأبدعت يد الإنسان كل إبداع ، وهذا ما تمّ في العصر الإسلامي ــ عصر خراسان الذهبي ــ إذ قدّمت هذه المنطقة للحضارة أكبر رجالها وغذّتها بأكثر جوانبها ، ويكفي أن نذكر قول ياقوت الحموي في معجمه عن ذلك لنعرف ما قدمته خراسان إذ يقول : « فأما العلم فهم فرسانه وسادته وأعيانه ، ومن أين لغيرهم مثل محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) ومثل مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١) وأبي عيسى الترمذي (ت ٢٩٧) وإسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨) وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) وأبي حامد الغزالي

(ت ٥٠٥) والجويني إمام الحرمين (ت ٤٧٨) والحاكم أبي عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥) وغيرهم من أهل الحديث والفقه ، ومثل الأزهري (ت ٣٧٠) والجوهري والفارابي (ت ٣٣٩) صاحب ديوان الأدب ، والهروي (ت ٤١٤) وعبد القادر الجرجاني (ت ٤٧١) وأبي القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨) ، هؤلاء من أهل الأدب والنظم والنثر الذي يفوت حصرهم ويعجز البليغ عن عدهم» وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لما مات العبادلة : عبد الله بن عباس (ت ٦٨) وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣) وعبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥) صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي ،فصار فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤) وفقيه اليمن طاووس (ت ١٠٦) وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير (ت ١٢٩) وفقيه أهل البصرة الحسن البصري (ت ١١٠) وفقيه هل الكوفة النخعي (ت ٩٦) وفقيه أهل الشام مكحول (ت ١١٢) وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني إلا المدينة فإن الله تعالى خصّها بقرشي فكان فقيه أهل المدينة من غير مدافع سعيد بن المسيب (ت ٩٤) .

وإذا اندلعت نار الحرب في خراسان أحرقت الأخضر واليابس وأتت على المدنية والعمران لشدة بأس أهلها وقوة شكيمتهم ودفاعهم عن أمصارهم والتصدي لخصمهم ، وإذا دارت رحاها بين أهلها بعضهم على بعض كان بأسهم بينهم شديداً وحالتهم أليمة ، وعندها يندثر كل ما أشيد ، وينهدم كل ما أقيم ، حتى تصبح قاعا صفصفاً ، وهذا ما حدث عندما ضعف الحكم الإسلامي ، وقامت العصبيات

وكذلك عندما اجتاح المغول المنطقة ، ثم عندما جاء التتار إذ خربت الديار ، وزالت معالم مابني في العصور الماضية وأتى الخراب على كل ما كـان .

وشُنّع على أهل خراسان وادّعي عليهم بالبخل ، ونسجت الروايات وحكيت الأساطير وأصبح كل من يريد أن يتكلم عن البخل ينسبه إلى خراسان ، ومن يحب أن يذكر شيئاً عن البخلاء يتحدث عن أشخاص منهم ، وينسبهم إلى مرو ، وكل هـذا ليس بصحيح ففي كل بلد بخلاؤها ، وفي كل أرض كرماؤها ، أما أن يتجمع أكثرهم في مكان ، وينزوي عن تلك البقعة الكرم ، وينحسر فهذا لايتفق مع العقل . ومما ذكره ثمامة أن الديك في كل بلد يلفظ ما يأكله من فيه للدجاجة بعد أن حصل عليه إلا ديكة مرو فإنها تسلب الدجاج مافي مناقيرها من الحب . وهذا الكلام لا يستقيم لأن ديكة مرو إن هي إلا كالديكة في جميع الأرض ، وما هذا الكلام إلا لينسب البخل إلى تلك البلاد وهل يمكـن أن يشترك الحيـوان والإنسان في هذه الصفة ... وعلى كل فإن ما شاع علـى ألسن الناس من بخل أهل خراسان إن هو إلا غير صحيح وأصله التفكه والملاحة في الحديث حتى صار عاماً ومتى نسبت الصفة إلـى شيء كثر الكلام فيه ، كما نسبت الأساطير إلـى جحا فأصبحت كـل أسطورة له ، وغدا كل طفيلي هو أشعب .



عاشت في هذه المناطق شبه الصحراوية قبائل فرضت عليها الطبيعة الارتحال وأجبرها الكلأ على الانتقال ، تعود في معظمها إلى أصل تركي .

دانت هذه القبائل بالوثنية والمجوسية ديانة فارس القديمة ، حتى سطع عليها النور من الجزيرة العربية ، فلفّها بين أشعته ، وطواها بين جوانحه فاعتنقت جميعاً الإسلام .

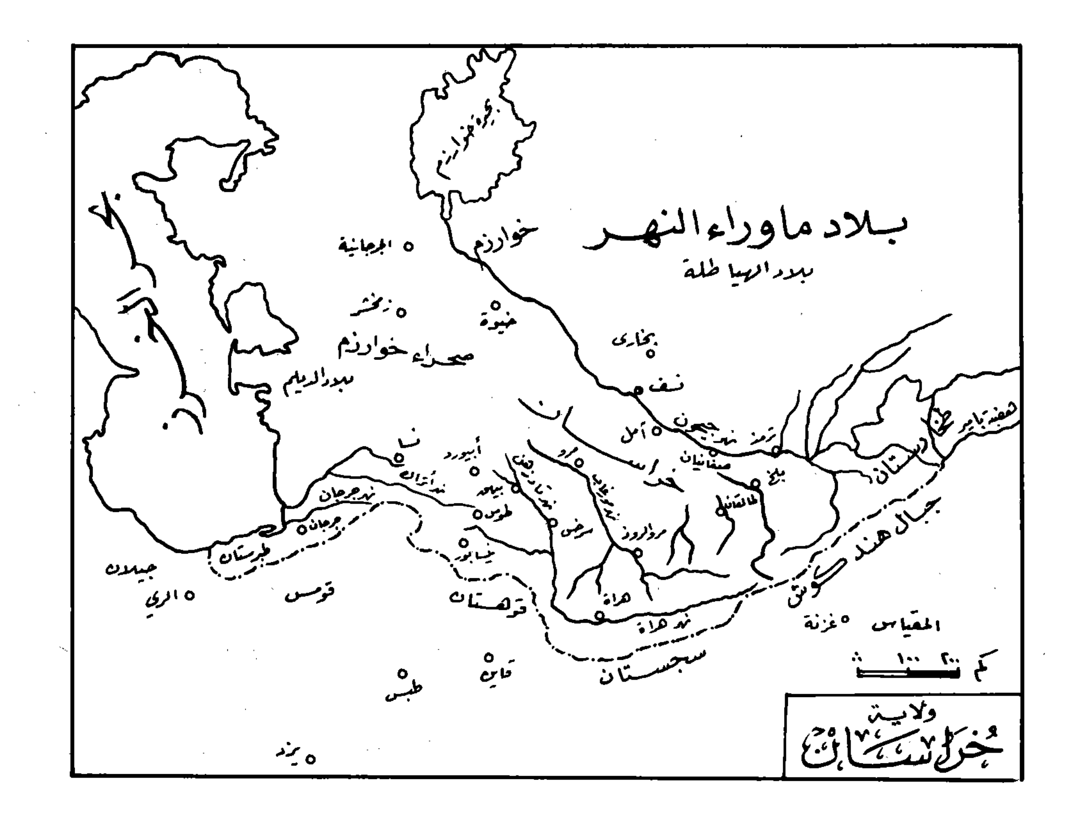
فتح خراسان :

بعد معركة نهاوند [1] عام ٢١ هـ الموافق ٦٤٣ م والتي كانت معركةً حاسمةً انتصر فيها المسلمون على الفرس انتصاراً مؤزراً ، حيث أطلق المسلمون عليها اسم « فتح الفتوح » ، قرر خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدها وحسب رأي الأحنف بن قيس [2] الانسياح في بلاد فارس ودفع قوات المسلمين إلى أنحاء

---

(١) نهاوند : مدينة قائمة في جبال (زاغروس) جنوب (همدان) وهي على طريق وسط فارس .

(٢) الأحنف بن قيس ، أبو بحر : سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم ، أحد الشجعان الفاتحين ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، شهد صفين مع علي رضى الله عنه ، توفي بالكوفة عام ٧٢ هـ


ولاية
خراسان
بلاد ماوراء النهر
بلاد الهياطلة
بحر الخزر
بحيرة خوارزم
خوارزم
الجرجانية
زمخشر
خيوة
صحراء خوارزم
بلاد الديلم
بخارى
نسف
آمل
ترمذ
صغانيان
بلخ
الطالقان
خراسان
مرو
مروالروذ
سرخس
هراة
نهر هراة
نسا
أبيورد
طوس
نيسابور
نهر جرجان
جرجان
طبرستان
جيلان
الري
قومس
قوهستان
قاين
طبس
يزد
سجستان
جبال هندكوش
غزنة
المقياس
كم

تلك المملكة كلها ، فعقد سبعة ألوية لسبعة من القادة عهد إليهم فتح أرض فارس كلها ، وكان ممن سار إلى خراسان الأحنف بـن قيس التميمي .

سار الأحنف بن قيس على رأس جيشه حتى دخل خراسان من (الطَبَسين) [1] فافتتح (هراة) عنوةً واستخلف عليها (صحار ابن فلان العبدي) ، وسار نحو (مرو الشاهجان) [2] عن طريق نهر (هراة) ، فامتلكها واستخلف عليها (حارثة بن النعمان) ومنها سار نحو (مرو الروذ) مع وادي نهر (مورغاب) ليلاحق (يـزد جرد) حيث فرّ إليها ، ووصلت الإمدادات من الكوفة إلى الأحنف ابن قيس ، وسار المدد نحو (بلْخ) حيث انتقل (يزد جرد) إليها .. واستطاع أهل الكوفة دخول (بلخ) ، وفرّ (يزد جرد) إلى بلاد ما وراء النهر ، ولحق الأحنف بأهل الكوفة في (بلخ) وقد نصرهم الله على عدوهم ، وأصبح الأحنف سيد خراسان إذ تتابع أهلها من

---

(١) الطبسان : قصبة ناحية في ولاية قوهستان ، وهي تثنية طبس إذ هما بلدتان كل واحدة منهما يقال لها طبس،إحداهما طبس العناب والثانية طبس التمر ، والفرس لايتكلمون بها إلامفردةوالعرب يثنونها ويقال لهما الطبسان إذ انهما في موضع واحد ، وتعدّ بـاب خراسان حيث تنخفض الجبال بينها وبين خراسان وتكـون ممـرا ينفتح نحو هراة .

(٢) مرو الشاهجان : هي مدينة مرو قصبة خراسان ونسبت إلى الشاهجان لأنها القصبة إذ معنى « جان » بالفارسية السلطان . وتفريقا لها عن مرو الروذ .

شذ منهم في مكان أو تحصن في مكان منيع على الصلح . وكان الأحنف وهو في طريقه إلى (مرو) قد بعث من فتح (نيسابور) و (سرخس) ، إذ أرسل (مطرف بن عبد الله) إلى (نيسابور) و (والحارث بن حسان) إلى (سرخس) .

عاد الأحنف إلى (مرو الروذ) بعد أن استخلف على (طخارستان) (ربعي بن عامر التميمي) ، وكتب الأحنف إلى الخليفة عمر بن الخطاب بفتح خراسان ، فكتب عمر إلى الأحنف « أما بعد: فلا تجوزن النهر واقتصر على مادونه، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان ، فداوموا على الذي دخلتم به يدم لكم النصر ، وإياكم أن تعبروا فتنفضّوا » .

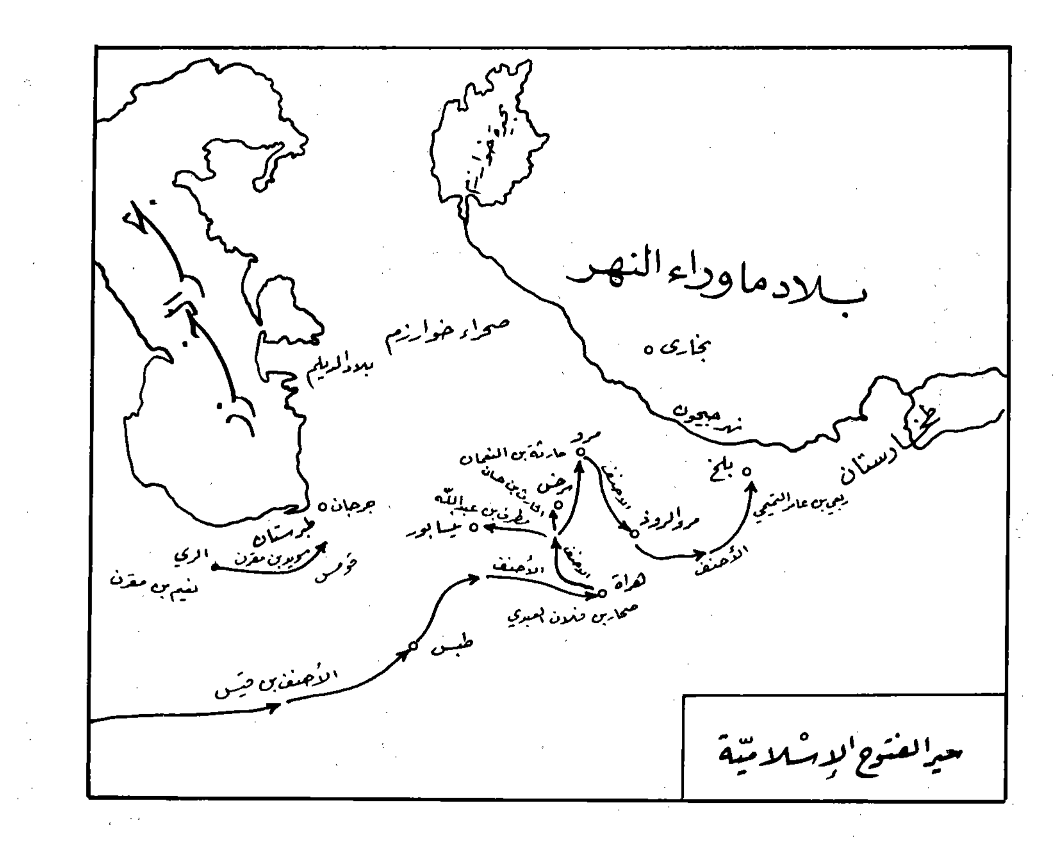
أما (طبرستان) فقد تمّ فتحها على يد (سويد بن مقرّن المزني)[1] . إذ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جاءه البشير بفتح (الري)[2] كتب إلى (نعيم بن مقرن)[3] أن يقدّم

---

(١) سويد بن مقرن المزني ، ابو عائد : أسلم مع أسرته ، شهد فتح العراق ؛ وحضر (القادسية) و (المدائن) : قاتل تحت لواء أخيه النعمان في نهاوند ، وتحت لواء أخيه نعيم في الري وهمدان ثم قاد فتح طبرستان وجرجان ، سكن الكوفة ومات فيها .

(٢) الري : موقع في فارس ، مكان طهران اليوم أو على مقربة منها .

(٣) نعيم بن مقرن : أسلم مع إخوته ، شهد الخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها ، قاتل المرتدين ، اشترك في قتال الفرس ، كان على مقدمة أخيه يوم نهاوند ، فتح (همدان) و (الري) ومات في الكوفة .


بحر الخزر
بلاد ماوراء النهر
صحراء خوارزم
بلاد الديلم
بحيرة خوارزم
بخارى
نهر جيحون
طخارستان
بلخ
ربعي بن عامر التميمي
مرو
حارثة بن النعمان
مرو الروذ
الأحنف
الأحنف
الأحنف
الأحنف
هراة
نيسابور
مطرف بن عبد الله
الحارث بن حسان
طبس
الأحنف بن قيس
جرجان
طبرستان
الري
قومس
سويد بن مقرن
نعيم بن مقرن
سير الفتوح الإسلامية

أخاه سويداً إلى (قومس) .

سار (سويد) إلى (قومس) ، ولم يصادف مقاومةً من حماتها ، ففتحها سلماً وعسكر بها . ثم سار إلى (بسطام) إحدى مدنها فأقام بها ، ومنها كاتب ملك جرجان يدعوه إلى الصلح أو يسير إليه بجنوده ، فبادر الملك الفارسي بالصلح على أن يؤدي الجزاء ويكفيه حرب جرجان ولهم الذمة والمنعة والأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، وهذا نص وثيقة الصلح بين الطرفين « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من سويد بن مقرّن لرزبان صول بن رزبان وأهل (دهستان) وسائر أهل (جرجان) . أن لكم الذمة وعلينا المنعة، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ، ومن استعنّا به منكم فله جزاء في معونته عوضاً عن جزائه ، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، ولا يغيّر شيء من ذلك هو إليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقروا المسلمين ولم يبدُ منهم سل ولا غل ... »

استعان يزدجرد بملوك التتار في بلاد ما وراء النهر بعدما وصل إليهم ، وكانوا قد رفضوا إنجاده من قبل ، فرجع إلى (بلخ) واستعادها ، وفر المسلمون الذين فيها إلى (مرو الروذ) حيث يقيم الأحنف بن قيس إلا أنه لم يستطع دخولها فقفل التتار راجعين إلى (بلخ) بينما سار يزدجرد إلى (مرور الشاهجان)

فحاصرها وبها (حارثة بن النعمان) عاملاً عليها من قبل الأحنف، فاستخرج يزدجرد منها كنوزه وانطلق نحو (بلخ) حيث ينتظره بها ملوك التتار .

وتوفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه والمسلمون على حالهم في خراسان إلا أن أهل خراسان لم يلبثوا أن نقضوا العهد بعد وفاته واجتمع المسلمون في (مرو الروذ) وعليها عبد الرحمن ابن سمرة، فكتب ابن سمرة إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان بخلع أهل خراسان : فقال أسيد بن المتشمّس المرّي :

ألا أبلغا عثمانَ عني رسالةً
فقد لَقيَتْ عنا خُراسانُ بالغَدْر
فأذْكِ هداك الله ، حرباً مقيمةً
بمرْوَيْ خراسان العريضة في الدهر
ولا تَفْتَرِزْ عنّا ، فإن عدوّنا
لآلٌ كنازاء المُمَدّين بالجَسر

فأرسل سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى عامله عبد الله بن عامر أن يستعيد فتح خراسان وأمده بعبد الله بن بشر في أهل البصرة ، فخرج ابن عامر في الجند وولج خراسان من جهة يزد والطبَسَين ، وكان على مقدمته الأحنف بن قيس .

وكان عبد الله بن عامر قد استطاع أن يعيد فتح خراسان بسرعةٍ إذ أرسل (الأحنف بن قيس) إلى (مرو الروذ) ففتحها

بعد أن أجبر أهلها المتحصنين على الصلح ، وأرسل الأحنف (الأقرع بن حابس) إلى (الجوزجان) ففتحها بعد قتال شديد استشهد فيه خلق كثير ، ومات عدد كبير . وسار الأحنف إلى (بلخ) فصالح أهلها واستناب (أسيد بن المتشمس) على قبض المال ، فقال أسيد بعد استرداد خراسان :

ألا أبلغا عثمان عني رسالةً
لقد لقيت منا خراسان ناطحا
رميناهم بالخيل من كلّ جانب
فولّوا سراعاً واستقادوا النوائحا
غداة رأوا خيل العراب مغيرة
تُقَرِّبُ منهم أسدَهنّ الكوالحا
تنادوا إلينا واستجاروا بعهدنا
وعادوا كلاباً في الديار نوابحا

واستعاد المسلمون مواقعهم في خراسان كلها ، وأعادوا عمالهم على ما كانوا عليه ، وعلى هذا تكون الفتوحات كثيرةأيام خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهولكن ــ مع الأسف ــ لا يذكر من أيامه سوى الفتنة التي وقعت والخلافات التي حدثت في أواخر أيامه والتي انتهت بمقتله .

ولما كانت خلافة معاوية بن أبي سفيان استعمل سعيد بن عثمان بن عفان[1] على خراسان ، ومضى سعيد بجنده في طريق

---

(1) سعيد بن عثمان بن عفان الاموي القرشي : وال ، من الفاتحين ، نشأ في المدينة ، وبعد مقتل أبيه وفد على معاوية ، فولاه خراسان ، ففتح سمرقند ، واصيبت عينه بها ، وعزل عن خراسان عام ٥٧ هـ : توفي عام ٦٢ هـ .

فارس ، فلقيه بن مالك بن الريب[٣] ، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم ثياباً ، فصحبه معه ويذكر مالك ذلك في قصيدته اليائية التي خلّدت ذكره وسنوردها لما فيها من جمال وذكر لكثير من أسماء المواضع في خراسان إذ يقول :

١ ــ لعمري لئن غالت خُراسان هامتي
لقد كنت عن بابيْ خراسان نائيا

٢ ــ ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً
بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

٣ ــ فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه
وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

٤ ــ لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا
مزار ولكنّ الغضا ليس دانيا

٥ ــ ألم ترني بعت الضلالة بالهدى
وأصبحت في جيش ابن عفّان غازيا

وكان فتح الطّبَسَين وهما بابا خراسان في هذا الجيش على يد عبد الله بن بُديل بن ورقاء ، فيقول مالك :

٦ ــ دعاني الهوى من أهل ودّي وصحبتي
بذي الطّبَسين ، فالتفت ورائيا

---

(٣) مالك بن الريب : سار مع جيش الفتح ، شهد فتح سمرقند ، مرض في (مرو) وتوفي عام ٦٠ هـ .

٧ ـ أجبت الهـوى لمـا دعاني بزفرةٍ
تقنعت ، منهـا أن ألام ، ردائيـا
٨ ـ أقول وقد حالت قرى الكرد دوننا
جزى الله عمراً خـير ما كان جازيـا
٩ ـ إنْ الله يرجعني إلى الغزو لا أكـن
وإن قلّ مالـي طالبـاً ما ورائيـا
١٠ ـ فللـه دري يوم أترك طائعـاً
بنيّ بأعـلى الرقمتـين[1] وماليـا
١١ ـ ودر الظباء السانحـات عشيـةً
يخبـرن أني هالـك مـن أماميـا
١٢ ـ ودر كبيريّ اللذيـن كلاهمـا
عليّ شفيـق ناصـح لـو نهانيـا
١٣ ـ ودر الهوى من حيث يدعو صحابه
ودر لجاجـاتـي ودر انتهـائيـا
١٤ ـ ودر الرجال الشـاهدين تفتّكي
بأمريَ ألا يقصـروا مـن وثاقيـا
١٥ ـ تفقدت من يبكي علي فلم أجـد
سوى السيف الرمـح الرديني باكيا
١٦ ـ وبالرمل منا نسـوة لو شهدنني
بكـين وفدّيـن الـطبيب المداويـا

(١) الرقمتين : قريتين قرب البصرة حيث منزل مالك بن الريب .

١٧ ـ فمنهن أمـي وابنتاهـا وخالتي
وباكيـة أخـرى تهيـج البواكيـا

١٨ ـ وأدهم خنـذيذ يجـر لجـامه
إلى المـاء لم يترك له الموت ساقيـا

١٩ ـ ولكن بأطراف السمينة[1] نسوة
عزيـز عليهـن العشيـة مـا بيـا

٢٠ ـ صريع على أيدي الرجـال بقفرةٍ
يسوون لحدي حيث حُمّ قضائيـا

وبعد ذلك يذكر مرو وقد لاحظ أن منيته قد اقتربت لما أصابه من السقم وما حلّ به من الألم .

٢١ ـ ولمـا تراءت عنـد مروٍ منيتي
وحلّ بها سقمـي وحانـت وفاتيـا

٢٢ ـ أقول لأصحابي : ارفعوني فإنني
يقـرّ بعينـي أنْ سهيـل بداليـا

٢٣ ـ فيا صاحبيْ رحلي دنا الموت فانزلا
برابيـةٍ إنـي مقيـم لياليـا

٢٤ ـ أقيما عليّ اليوم أو بعض ليلـةٍ
ولا تعجلانـي قـد تبـين شـانيـا

٢٥ ـ وقوما إذا ما استل روحي فهيئـا
لي السدر والأكفـان ثـم ابكيانيـا

---

(٣) السمينة : موقع في خراسان .

٢٦ ــ وخُطّا بأطراف الأسنة مضجعي

وردّا علــى عينيّ فضــل ردائيــا

٢٧ ــ ولا تحسداني بارك الله فيكمــا

من الأرض ذات العرض أن توسعاليا

٢٨ ــ خذاني فجــراني ببردي إليكما

فقد كنت قبل اليوم صعبــاً قياديــا

٢٩ ــ وقد كنت عطّافاً إذا الخيل أحجمت

سريعاً لدى الهيجا إلى مــن دعانيــا

٣٠ ــ وقد كنت محموداً لدى الزاد والقِرى

وعن شتميَ ابن العم والجار وانيــا

٣١ ــ وقد كنت صباراً على القِرن في الوغى

ثقيلاً عــلى الأعــداء عضبــاً لسانيا

٣٢ ــ وطوراً تراني في ظلالٍ ومجمعٍ

وطــوراً ترانــي والعتــاق ركابيــا

٣٣ ــ وطوراً تراني في رحىً مستديرةٍ

تخــرّق أطــراف الرمــاح ثيابيــا

٣٤ ــ وقوما على بئــر الشبيك فأسمعا

بها الوحش والبيض الحسان الروانيا

٣٥ ــ بأنكمــا خلفتُمــاني بقفــرةٍ

تهيل عليّ الريــح فيهــا السوافيــا

٣٦ ــ ولا تنسيا عهدي ، خليلي ، إنني

تَقطّعُ أوصــالي وتَبــلى عظاميــا

٣٧ ـ ولن يعدم الوالون بيتاً يجنّني
ولن يعدم الميراث بعدي المواليا

٣٨ ـ يقولون : لا تبعد، وهم يدفنونني
وأين مكان البعد إلا مكانيا

٣٩ ـ غداة غدٍ ، يالهف نفسي على غدٍ
إذا أدلجوا عني وخُلّفْتُ ثاويا

٤٠ ـ وأصبحت لاأنضو قلوصاً بأنسُعٍ
ولا أتنمي في غورها بالمثانيا

٤١ ـ وأصبح مالي من طريفٍ وتالدٍ
لغيري وكان المال بالأمس ماليا

٤٢ ـ فيا ليت شعري هل تغيرت الرحا
رحا المثل [1] أو أمست بفلْج كما هيا

٤٣ ـ إذا القوم حلّوها جميعاً وأنزلوا
بها بقراً حُمَّ العيون سواجيا

٤٤ ـ رَعَيْنَ وقد كان الظلام يَجُنّها
يَسُفْنَ الخزامى غضّة والأقاحيا

٤٥ ـ وهل ترك العيس المراسيل بالضحى
تعاليها تعلو المتانَ القوافيا

٤٦ ـ إذا عُصَبُ الركبان بين عنيزةٍ
وبولان [2] ، عاجوا المُنقبات النواجيا

(١) رحا المثل : اسم مكان بخراسان .

(٢) بولان : اسم موضع .

٤٧ ـ ألا ليت شعري هل بكت أم مالك
كما كنت لــو عالَـو ١ نعيّك باكيـا
٤٨ ـ إذا مُتّ فاعتادي القبور فسلّمي
على الرمس أسقيتِ الغمام الغواديـا
٤٩ ـ ترى جدثاً قد جرّت الريح فوقه
غبـاراً كلـون القسطلانـي هابيـا
٥٠ ـ رهينة أحجارٍ وتـربٍ تضمنت
قرارتهـا منـي العظـام البواليـا
٥١ ـ فياراكبـاً إما عـرضت فبلغـن
بني مـالك والـريب أن لا تلاقيـا
٥٢ ـ وبلغ أخي عمران بردي ومئزري
وبلـغ عجوزي اليـوم أن لاترانيـا
٥٣ ـ وسلّم على شيخيّ مني كلاهمـا
وبلّـغ كُثـيراً وابن عمي وخاليـا
٥٤ ـ وعطل قلوصي في الركاب فإنهـا
ستبرد أكباداً وتبكـي بواكيـا
٥٥ ـ أقلب طرفي حول رحلي فلا أرى
به من عيـون المؤنسـات مُراعيـا
٥٦ ـ فما كان عهد الرمـل عندي وأهله
ذميمـاً ولا ودّعت بالرمـل قاليـا

كانت خراسان في البداية تتبع الوالي في البصرة وهو يرسل إليها نائباً عنه ، ثم أصبح والي خراسان يعين من قبل الخليفة وإن كان يتبع البصرة أو أن والي المشرق يقترح ذلك على الخليفة فيوافق . وقد تعاقب الولاة وعندما حدثت الفتنة في الدولة الإسلامية إثر مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ... كانت خراسان تشايع سيدنا علياً رضي الله عنه وعندما تم الأمر لمعاوية رضي الله عنه اعتصم زياد بن أبيه[1] في خراسان ولكن معاوية استطاع كسبه ، وعمل له عاملاً على البصرة فكان يرسل الولاة إلى خراسان من قبله ، ثم وليها ابنه (عبيد الله)[1] وعندما تولي أمر الكوفة عبيد الله بن زياد صار أمر خراسان إلى أخيه عبد الرحمن بن زياد ثم إلى أخيه أسلم ...

وعندما حدث الخلاف أيضاً أثناء خلافة عبد الله بن الزبير شايعت خراسان ابن الزبير ثم دانت للحجاج بن يوسف والي المشرق من قبل عبد الملك بن مروان فولى على خراسان المهلب بن أبي صفرة الذي كان والياً على البصرة من قبل مصعب بن الزبير.

---

(١) زياد بن أبيه : ولد في الطائف في العام الاول للهجرة ، مجهول الاب ، ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، أسلم في عهد أبي بكر ، تولى إمرة خراسان لعلي بن أبي طالب ، اعتصم بقلاع خراسان بعد مقتل علي ، الحقه معاوية بنسبه، فقدم اليه، وولاه البصره والكوفة وبقي فيهما حتى توفي عام ٥٣ هـ .

(١) عبيد الله بن زياد : ولد بالبصرة عام ٢٨ هـ ، ولاه معاوية خراسان عام ٥٣ هـ ، ثم البصرة عام ٥٥ هـ ، بايعه أهل البصرة بعد وفاة يزيد ثم وثبوا عليه ، ففر الى الشام قتله ابراهيم بن الاشتر وهو في طريق عودته الى لعراق عام ٦٧ هـ .

وبقي المهلب بن أبي صفرة[1] على خراسان حتى توفي عام ٨٣ هـ ، فخلفه ابنه يزيد فبقي مدة ست سنوات ثم عزل بـرأي الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يخشى بأسه ، وعندما عزل حبسه الحجاج ولكنه استطاع أن يفر من السجن ويأتـي إلـى الشام ... وتولى مكانه قتيبة بن مسلم الباهلي فقام بفتح بـلاد ما وراء النهر ...

وعاد يزيد بن المهلب إلى ولاية خراسان بعد وفاة الوليد بن عبد الملك وتولية أخيه سليمان وبقي فيها حتى جاء إلى الخلافة عمر بن عبد العزيز فعزله وسجنه في حلب .

ثم ولي أمر خراسان عمر بن هبيرة الفزاري [2] أيام خلافة يزيد بن عبد الملك ، ولكنه عزل في أيام هشام بن عبد الملك وسجن وتولى مكانه خالد بن عبد الله القسري[3] فكان أمير العراقـين فأرسل أخاه أسداً[4] إلى خراسان فبقى هناك حتى عام ١٢٠ هـ .

---

(١) المهلب بن أبي صفرة : ولد في السنة السابعة للهجرة ، قدم المـدينة مـع أبيه أيام عمر ، وولي أمر البصرة لمصعب بن الزبير ، ولاه عبد الملك خراسـان وبقي فيها حتى مات بها عام ٨٣ هـ .

(٢) عمر بن هبيرة : ولي لجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، وغزا الروم ، تولى اماره العراق وخراسان وتوفي عام ١١٠ هـ .

(٣) خالد بن عبد الله القسري : ولد في دمشق عام ٦٦ هـ ، تولى امر مكة للوليد بن عبد الملك ، ثم ولاه هشام العراقين عام ١٠٥ هـ ثم عزل عام ١٢٠ هـ وقتل بالحيرة عام ١٢٦ هـ .

(٤) أسد بن عبدالله القسري : ولاه أخوه خالد خراسان عام ١٠٨ هـ ، أسلم على يديه « سامان » جد الاسرة السامانية وتوفي في (بلخ) عام ١٢٠ هـ .

حيث توفي ، وكان هشام قد عزل أخاه خالداً ، وأقام مكانه يوسف ابن عمر [1] الثقفي فسجنه يوسف وعذبه ثم قتلـه ، ثم عين نصر ابن سيار [2] .

هذا الخلاف بين الولاة واستبدالهـا بشكل مستمر جعـل شيئاً من الفوضى أو عدم الاطمئنان بالنسبة إلى السكان وهـذا ما جعل العصبية تنشأ وتذرقرنها منجديد وبخاصة أنها قد وجدت في دمشق مركز الخلافة ، ومنها امتدت إلـى الجهات كلهـا ... فالعرب الذين فتحوا خراسان وتكاثروا فيها ، واستقروا هناك ، وكانت اليمانية أكثر الفئات سكناً لتلك الجهة. وبعد هذا الاستقرار الذي أعقب الفتوحات الكبرى استرخت النفوس ، ومالت إلـى الدعة والخلود ، ثم بدأ النزاع وظهر بين القبائل ، وثارت العصبية، وانقسم العرب إلى يمانية ومضرية، وساد العداء بينهما، واشتعلت نار الحرب بين الطرفين عندما لم يجدوا من يحاربونه ، ونسـوا الأمر الذي ذهبوا من أجله وهو نشـر الدين والدعوة إلـى الله والجهاد في سبيله .

---

(١) يوسف بن عمر الثقفي: تولى أمر اليمن لهشام بن عبد الملك عام ١٠٦ هـ، ثم انتقل الى العراق ، وأضاف اليه خراسان عزله يزيد بن الوليد وحبسه فـي دمشق ، وقتل في السجن عام ١٢٧ هـ .

(٢) نصر بن سيار : ولد عام ٤٦ هـ ، كان شيخ مضر بخراسان ، ووالي بلخ، ثم تولى امرة خراسان عام ١٢٠ هـ ، أقام بمرو ، انتصرت عليه الدعوة العباسية ، مرض ومات عام ١٣١ هـ .

كان أسد بن عبد الله القسري والـي خراسان زعيم اليمانية ثم أصبح نصر بن سيار والياً وهو زعيم المضرية ... هذه العصبية أثارت عصبيات أخرى إذ أن الاعتماد على العرب وإهمال الموالي قد أثار النزعة الفارسية وقامت الدعوة إليها . بينما كان الدين يجمع بينهما، وبذا تفرقت الأمة وتقطعت أوصالها، فما استحكمت العصبية في أمة إلا فرّقتها فرقاً ، ومزقتها مزقاً ، وجزأتها قطعاً ، وما تفرقت أمة إلا ذلت ، وما أصاب الذل أمةً إلا سطا عليها أكثر أهل الأرض شراً وأقلهم قدراً وأحطهم أمراً . وما أصابنا الآن ما أصابنا إلا بعد أن تقوقعنا على أنفسنا في مناطق معينة ، وفرّقنا أصحاب الأطماع ، وشتتنا أهل الهوى ، وتركنا الدعوة للفكرة وانطلقنا وراء العصبية .

واستفاد أبو مسلم الخراساني داعية بني العباس من هذه التفرقة القائمة في خراسان فضم إلى جموعه :

١ ـ اليمانية المعارضة للمضرية وزعيمها نصر بن سيار ، وكانوا يطمعون أن تكون الولاية لهم لكثرتهم ، وينقمون على المضرية .

٢ ـ الناقمين على الأمويين الذين يعتمدون على العرب ويهملون الموالي ، إذ كانوا يضعون عليهم الجزية رغم إسلامهم ولم يشذ من خلفاء بني أمية سوى عمر بن عبد العزيز .

٣ ـ الجماعة التي ترى إهمال الدعوة الدينية وتوقف الفتح خطراً عظيماً على الدين .

٤ ـ أصحاب العصبية الفارسية الذين يتخذون رد الفعل ضد الأمويين ستاراً يخفون به حقائقهم ٠

٥ ـ الجماعة التي تؤيد آل البيت وترى فيهم قدوة وأحقية لتسلم الحكم ٠

٦ ـ هذا إضافة إلى الأطماع الشخصية والآراء الفردية وحب التغيير القائم في النفوس ٠

أحس والي خراسان نصر بن سيار بهذه التفرقة وشعر بخطر العصبية ، ولكن بعد أن فات الأوان فالنار قد اشتعلت ولا يمكن إخمادها بسهولة ، وبخاصةٍ أنه كان يتعصب للمضرية فكتب يستنجد ممن يمكن أن ينجده ولكن يظهر أن البلاء قد عم ٠

كتب نصر بن سيّار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة [1] والي العراقين يستمده وكتب إليه بأبيات من الشعر :

أبلغ (يزيد) وخيرُ القول أصدقه
وقد تبيّنت ألا خير في الكذب

إن خراسان أرض قد رأيت بها
بيضاً لو أفرخ قد حُدّثْتَ بالعجب

فراخ عامين إلا أنها كبرت
ولم يطرن وقد سُرْبِلْن بالزغب

---

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة : ولد في دمشق عام ٨٧ هـ ، وولي قنسرين للوليد بن يزيد ثم جمعت له ولاية (العراقين) عام ١٢٨ هـ في أيام مروان بن محمد ، قاتله العباسيون ، ثم أعطوه الامان بعد ان اتعبهم ، فاقام بواسط ثم قتل عام ١٣٧ هـ بقصر واسط ٠

فإن يطرن ولم يُختل لهن بها
يلهبن نيران حرب أيما لهب

فقال (يزيد) لا غلبة إلا بكثرة وليس عندي رجل •

وكتب نصر إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس وكتب بأبيات شعر منها

أرى بين الرماد وميض نارٍ
ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعيدان تذكى
وإن الحرب مبدؤها الكلام
أقول من التعجب ليت شعري
أأيقاظ أمية أم نيام ؟
فإن كانوا لحينهم نياماً
فقل : قوموا فقد حان القيام

وأعاد نصر الصيحة تلو الأخرى ثم التفت إلى حاضرته مرو . يريد جمع العرب وإنهاء أمر الخلاف بين اليمانية والمضرية وكتب لهم جميعاً أبياتاً من الشعر يقول فيها :

أبلغ ربيعة من مروٍ وإخوتهم
فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا
حرباً يُحرّق في حافاتها الحطب

ما بالكم تلقحون الحرب بينكم
كأن أهل الحجا عن رأيكم عزب

ولكن لم تجد هذه الصيحات في وقت تشتتت فيه الأفكار ، وتفرقت الأهواء ، واستحكمت العصبية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « دعوها فإنها نتنة » . ولا تكون نتيجة التفرق شديدة على الجيل الحاضر بقدر ماتكون عظيمة الأثر على الأجيال التي تعقبه ، وهذا الذي حدث في خراسان .

واستطاع أبو مسلم الخراساني الانتصار على أعدائه الذين تفرقوا . والتقى جيش العباسيين القادم من المشرق بقيادة عبد الله ابن علي بن عبد الله بن عباس بجيش الأمويين بقيادة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية على نهر الزاب أحد روافد دجلة، وكان الجيش الأموي مفرّقاً مختلفاً لايدافع عن فكرة، ولا يعمل لدعوة ولا يقاتل تحت راية العقيدة لذا فلا يمكنه أن يحرز النصر ، فإن النصر مرهون بالعقيدة ، والجيوش التي تضم بين صفوفها جنوداً لا يحملون عقيدة إنما تجمع أشتاتاً تفرّقهم أول صدمة وتذلّهم أول ضربة . أما الجيوش التي تتألف من جندٍ مترابطين في العقيدة فإنما تجمع صفاً واحداً كالبنيان المرصوص وتجعل من أفرادها كتلةً واحدةً يصعب اختراقها مهما بلغت قوة العدو وتعاظمت وزادت عدته وتكاثرت ، وهذا ما كان يحدث في غزوات الصدر الأول من التاريخ الإسلامي وفتوحاته إذ لا يمكن تعليلها إلا بالإيمان الذي كان يملأ النفوس ويغطيها كاملةً فلا ترى إلا

من خلاله ولا توصف إلا به ، بينما كان الجيش العباسي أفضل نسبياً يعمل لفكرة ويسير إلى هدف ويهدف إلى شيء يخطط له وهذا ما جعله يحرز النصر ، ويحصل على الفوز ، ويكتب لدولته القيام .

دالت دولة بني أ مية وقامت دولة بني العباس، زالت عصبية وحلّت مكانها أخرى ، وابتدأ سفك الدماء، وكثر القتل، فالحرب بين العصبيات شديدة ليس لها حدّ تقف عنده ، ولا يعرف لها مثيل إلا الحروب بين الطبقات ، هذان النوعان من التقسيم أشدّ أنواع التفرقة ، وأصعب أنواع الخلاف ، وينتج عنهما أقسى أنواع الحروب ، وأمرّ أصناف القتال ، وأبغض أشكال العداء ، ويستمر التوتر بين الطرفين ما دام التقسيم قائماً ، ولهذا فالإسلام يحاربهما ويدعو إلى نبذهما ويحول دون تقسيم المجتمع إلى طبقات ، أو تصنيفه إلى عصبيات . ولذا فقد دهش المسلمون من الأحداث التي جرت في هذه الآونة ، وانصرف بعضهم نحو العلم يعبون من منهله ، وقد تركوا ما يجري على الساحة فكان منهم العلماء الذين حققوا للحضارة الإسلامية انتصارات واسعة أضيفت إلى ما حققته الفتوحات ، وإن كان قد سار كل منهما في اتجاه إلا أن الهدف منها كان واضحاً وواحداً هو خدمة الإسلام والعمل في سبيل الله .

استلم العباسيون الحكم على أكتاف الفرس ، ولكن الفرس لم يستطيعوا أن يسيروا في عصبيتهم شوطاً بعيداً لأن دعاة العصبية

فيهم قلة وأنصار التطرف فئة صغيرة والغلاة عددهم محدود ،ولأن الأمر لم يكن بيدهم تماماً ، فالخلفاء من العرب ، والأمر لا يزال في بدايته ، فالقوة واستعمالها أكثر ماتكون في بداية كل حركة أو تغيير وضع ، والنفوس لا تظهر ما تضمر منذ بداية الطريق ، والعقيدة الإسلامية لا تزال راسخةً قويةً في قلوبٍ كثيرةٍ من أجناس مختلفةٍ ، فتميل إلى الحق ، وتمقت العصبية وتدعو إلى الفكرة ، كما أن الخلفاء كانوا أقوياء في استعمال السلطة حيث ركبوا أوعر الطرق حتى تمّ لهم الأمر فلا يصلح التساهل والتغاضي، والإنسان الذي لقي الشدة حتى وصل إلى أمر يصعب عليه التخلي عنه والتفريط فيه فيبقى في شدته إلى أن تضعف مع الزمن، وتنتهي عندما يصل إلى الأمر من لم يعرف عذاباً في الوصول إليه ولم يتحمل مهانةً لتسلم الوضع ، فيلقي الحبل على الغارب ، وينصرف إلى ما تحدثه نفسه ، وتدفعه شهوته ، وبعض النفوس ضعيفة وأكثر الشهوات مهلكة وهكذا تدول الأمم وتزول الحكومات وتميل الدول نحو الانحطاط .

وفي عهد قوة بني العباس انتهى أحد الدعاة وهو أبو سلمة الخلال حفص بن سليمان (ت١٣٢هـ) وأعقبه أبومسلم الخراساني عبد الرحمن بن مسلم (ت ١٣٧ هـ) مؤسس الدولة العباسية الذي يقول مفتخراً بما قام به :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت
عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا

مازلت أسعى بجهدي في دمارهم
والقوم في غفلةٍ بالشام قد رقدوا
حتـــى ضربتهم بالسيف فانتبهـــوا
من نومةٍ مـــن ينمها قبلهم أحـــد
ومن رعى غنماً في أرض مسبعـــة
ونـــام عنها تولـــى رعيها الأســـد

ويظهر أن كليهما كان من أنصار التطرف تخلص الثاني من الأول عندما ظن أن السفاح قد استماله وأبعـــده عن مهمتـــه ، وأزال المنصور الخليفة العباسي الثاني أبا مسلم الخراساني من طريقـــه عندما ظهرت منه بوادر العصبية ولاحت عليه فكرة الاستئثـــار بالوضع ... وكمنت العصبية الفارسية قليلاً ثم ارتفع رأسهـــا شيئاً في عهد البرامكة فأحناه الرشيد ثم طار في الهواء عام ١٨٧هـ، ولكن الأمر لم يدم كثيراً ، ووقت القوة لم يطل ، وكانت العصبية تنتظر الشرارة لتندلع ، فإذا لم تتوفر الشرارة اكتفت بالدخـــان ليلهبها ، واعتمدت على عصبية الأم ، فقد كان للرشيد أبناء عدة من زوجات مختلفات في العصبية ، وقد أوصى لأبنائه من بعـــده الأمين محمد (ت ١٩٨) فالمأمون عبد الله (ت ٢١٨ هـ) فالمؤتمن القاسم (ت ٢٠٨ هـ) ولم يكونوا من أم واحدة ، فتعصب العرب للأمين وكانت أمه منهم ، وانحاز الفرس للمأمون لأن أمه كانت من الفرس وهم ينتظرون الفرصة وقد خلت النفوس من الإيمان فأصبح يملؤها كل شيء ولو كان بوراً ، بل إن العرب قد اختلفوا

فسارت القيسية مع الأمين ، والكلبية مع المأمون ، وكادت الفتنة تندلع إلا أنها انتهت بسير المؤتمن مع المأمون ، وخمدت بمقتل الأمين ، وبقيت آثارها قائمة، ونظر كل قائد أو زعيم إلى السيطرة على منطقته معتمداً على عصبيته ولم يمض وقت طويل حتى قامت الدولة الطاهرية في (مرو) حاضرة خراسان ، وقد أسسها طاهر ابن الحسين قائد المأمون الذي دخل بغداد وقتل الأمين ، ثم أصبح والي خراسان من قبل المأمون عام ٢٠٥ ولكن إن استطاع المأمون القضاء عليه إلا أن خراسان بقيت بيد أسرته حتى عام ٢٥٩ هـ .

وما أن قامت الدولة الطاهرية إلا وابتدأت العصبيات تظهر والدعوة إليها تقوم في كل جهة وبخاصة في خراسان ، فقام الصفاريون في سجستان وامتد نفوذهم إلى خراسان ، وقام السامانيون في بلاد ما وراء النهر ، ووصلت دولتهم إلى خراسان ، ووصل حكم بني زيار في طبرستان إلى بعض أجزائها أيضا . وأخيراً دانت خراسان لحكم الغزنويين ومن بعدهم كانت ضمن دولة السلاجقة ، وكل هذه الدول كانت تتبع الخلافة في بغداد اسمياً وتحكم باسم الخليفة ، وفعلياً تعتمد على العصبية وتقوي اللغة المحلية فبعد أن كانت اللغة العربية هي الرسمية والسائدة بدأت تنزاح شيئاً فشيئاً أمام إحياء اللغات المحلية واستعمالها ، فاللغة العربية هي لغة الإسلام وبمقدار ما تنتشر الفكرة الإسلامية بمقدار ماتنتشر لغته، وعندماتضعف الفكرة تضعف معها اللغة...

وقامت الدولة الخوارزمية وحكمت أجزاء واسعة من خراسان،

ونازعها الغوريون على الأجزاء الباقية ، واستمرت هذه الدولة حتى اجتاح المغول المنطقة بقيادة جنكيزخان عام ٦١٨ هـ ، فأصاب المنطقة ما أصابها من دمار وخراب ، وبعد جنكيزخان تقاسم أبناؤه إمبراطوريته الواسعة فتأسست الدولة الإيلخانية في فارس وحكمت أكثر أجزاء خراسان ، وقامت الدولة (الجغطائية) في بلاد ما وراء النهر وحكمت منطقة طخارستان التي حاضرتها مدينة (بلخ) ، بينما كانت هراة في حكم (الكرت) الذين مركزهم بلاد الأفغان.

ضعفت الدولة الإيلخانية ، وفي الوقت نفسه قام تيمور في (سمر قند) ببلاد ما وراء النهر وجمع حوله التتار واتجهوا نحو الغرب فاجتاحوا المنطقة عام ٧٨٤ هـ ، واستمرت أسرته تحكم المنطقة حتى عام ٩٠٠ هـ حيث حصل النزاع بين خلفاء (تيمور) و (التركمان) الذين ظهروا في شرقي بحر الخزر ، ومع (الأوزبك) الذين سيطروا على أجزاء خراسان كافة ، وينتمي (التركمان) و (الأوزبك) إلى العنصر التركي الذي كان يندفع نحو الجنوب الغربي باستمرار فيدخل بلاد ما وراء النهر ، ويعتنق الإسلام ؛ ثم يتوزع في تلك الأرجاء ، وتستقر قبيلة في منطقة معينة تحمل اسمها مع الزمن . وسيطر (الأوزبك) على خراسان . وعندما تأسست الدولة (الصفوية) امتد نفوذها حتى شمل خراسان وانزاح (الأوزبك) عن مواقعهم ولم يبق لهم من خراسان سوى بقاع ضيقة جنوبي وغربي نهر جيحون .

لقد حاول (أولجايتو)[1] أحد حكام الدولة الإيلخانية نشر المذهب الشيعي فكُتب له ذلك في إيران، وجاء الصفويون فتابعوا خطته ونجحوا في إيران إلا أنهم فشلوا في خراسان كما عجز (أولجايتو) من قبلهم ، وهكذا دامت فارس بالمذهب الشيعي ، بينما بقيت خراسان تتبع مذهب أهل السنة والجماعة إلى الآن .

عادت مرة أخرى الجماعات تتقاتل في خراسان ومن كتب له النصر سيطر على أجزاء منها ، فقد حكم (الأفشار[1]) لخراسان ثم تقاسموها مع الأفغان ، ثم حكم (القاجار[2]) الأجزاء الغربية منها وتقاسموها مع الأفغان ، بينما استقلت طخارستان (بلخ) .

امتد حكم القاجار على الأجزاء التي تتبع إيران اليوم ،

---

(١) اولجايتو بن ارغون بن اباقاخان بن هولاكو ، احد حكام الدولة الايلخانية ، شب على النصرانية ، ثم اعتنق الاسلام على المذهب الشيعي وعمل على نشره ، وعُرف باسم (محمد خدابنده) حكم الدولة الايلخانية ٧٠٤ ـ ٧١٣ هـ ، وممن بعده اصبح الدين الاسلامي السائد في دولة ايلخانات الفرس .

(١) الافشار : أسس دولتهم (طهماسب قولي خان) ثم خلفه (نادر شاه) الذي غزا أفغانستان ، وتوغل في الهند ، واستولى على بخارى ، وأراد أن يعيد مذهب السنة الى ايران ، ولكنه فشل إذ قتل عام ١١٦٣ هـ .

(٢) القاجار : أقام دولتهم (أقا محمد) عام ١١٩٣ هـ بعد فترة فوضى سادت البلاد بعد مقتل (نادر شاه) وكانت أفغانستان قد استقلت ، وكذا جورجيا ، وأخذت الدولة العثمانية جزءاً من (اذربيجان) ، وسيطرت روسيا على (بخارى) و (سمرقند) ، واستمر حكم (القاجار) حتى عام ١٣٤٤ هـ .

بينما أخذ الأفغان المناطق التي تتبع أفغانستان الآن عدا (بلخ) التي كانت مستقلة بنفسها . أما الأقسام الأخرى فكانت تحت حكم (الأوزبك) الذين تجزأت دولتهم فكانت عدة خانات منها (خيوه) ومنها (مرو) ومنها في ماوراء النهر (بخارى) و (خوقند) أما التركمان فكانت دولتهم بين بحيرة (خوارزم) وبحر الخزر .

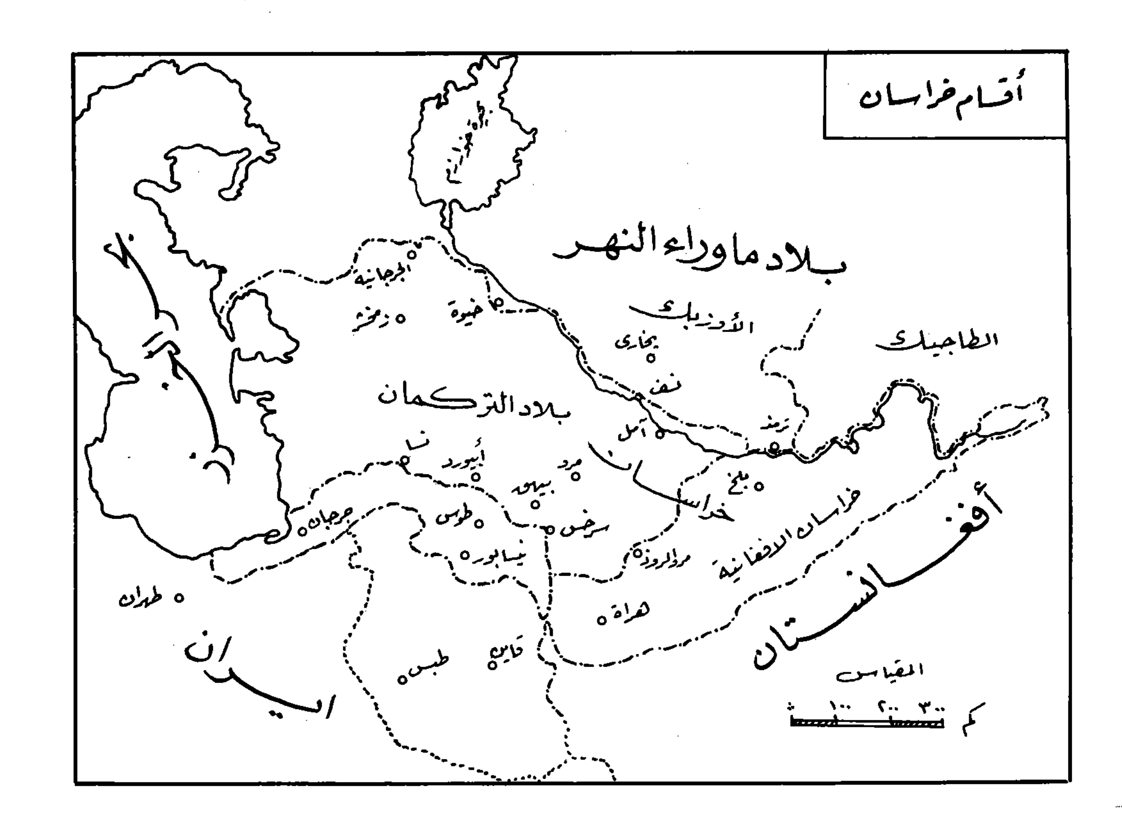
في هذا الوقت كان الروس يمدون نفوذهم على أواسط آسيا ويسيطرون على تلك المناطق جزءاً بعد جزء فغزوا الجزء الأوزبكي بين عامي ١٢٩٠ ــ ١٣٠٥ هـ ، إذ دخلوا (خيوه) ١٢٩٠ و (مرو) ١٣٠٣هـ ، وكذلك ضمت (طخارستان) إلى الأفغان .

وبهذا أصبحت خراسان التي كانت ولاية واحدة تتبع اليوم دولاً ثلاثاً :

١ ــ روسيا : وتسيطر على الجمهورية المعروفة اليوم باسم (تركمانستان) .

٢ ــ أفغانستان : التي تتبعها منطقة (طخارستان) و(هراة) .

٣ ــ إيران : التي تتبعها (نيسابور) و (طوس) و (طبرستان) .



أقسام خراسان
بحر الخزر
بلاد ماوراء النهر
الأوزبك
الطاجيك
بخارى
نسف
ترمذ
آمل
الجرجانية
خيوة
زمخشر
بلاد التركمان
نسا
أبيورد
مرو
بيهق
طوس
جرجان
سرخس
نيسابور
مرو الروذ
بلخ
خراسان
خراسان الافغانية
أفغانستان
هراة
طهران
إيران
قاين
طبس
المقياس
كم

بِلَادُ التُركمَان

تشغل بلاد التركمان أراضي واسعة أكثرها صحراويــة حيث تشمل صحراء (قره قوم) التي تشغل تسعة أعشار البلاد ،والقسم الباقي وهو الذي يقع في جنوبي المنطقة ، وتهطل عليه الامطـــار المتوسطية في فصل الشتاء وذلك لارتفاعه • وعـلى الرغـم مـن أن المنطقة تقع على ساحل بحر الخزر إلا أن ذلك لايؤثر علىمناخها إلا قليلا مـن الرطوبة التي لاتتعدى الساحل وذلك لأن البحـر مغلق وصغير ، وتنخفض مياهه عن سطح مياه البحار ، كما ترتفـع غربه الجبال على حين تنخفض بلاد التركمان في شرقه •

والمنطقة الجنوبية المرتفعة هي السفوح الشماليـة للمرتفعات الواقعة في إيران وأفغانستان ، وهي المنطقة الآهلة بالسكان إضافة إلى الواحة التي يؤلفها نهر (جيحون) على طول مجراه في البلاد، ويروي هذه المنطقة أنهار تأتي من خارج المنطقة وإنكانت خراسانية وهي : نهر (مورغاب) الذي ينتهي عند مدينة (مـرو) ، ونهر (هاري) أو (هراة) وهو الذي يعرف أيضا باسم نهر (تادزهن) نسبة إلى المدينة التي يمر فيها ، وكانت مدينة (بيهق) تقع عند نهايته حيث تتوزع هناك مياهه للـري ، ونهر (أترك) الـذي يصب في بحـر الخزر •

استولى الروس على القسم الأكبر من البلاد إثر الحرب التركمانية ١٢٩٧ ــ ١٢٩٨ هـ ، ولكن جنوب شرقي البلاد لم يخضع للروس حتى عام ١٣٠٢ هـ بما في ذلك (مرو) التي دافع عنها التركمان دفاعا مستميتا .

فكرت روسيا أنه لقهر التركمان لابد من قهر الصحراء وتنفيذ مشروعات إروائية ضخمة تستطيع بموجبها نقل عدد كبير من الروس إلى المنطقة وتوطينهم فيها وبالتالي يسيطرون على البلاد . حفر الروس قناة (تركمانيا) المعروفة اليوم باسم قناة (نجلوخوفسكي) ، وتصل بين المجرى الادنى لنهر جيحون وبحر الخزر ، وحفروا أيضا قناة (قره قوم) التي تجري من نهر (جيحون) إلى نهر (مور غاب) فنهر (تادزهن) ، وتنتهي بغربي (عشق آباد) ، ويبلغ طولها ٤١٠ أميال ، وتوجه مياهها لري مساحات واسعة في جنوبي بلاد التركمان . وستصل إلى خليج (كرازنوفودسك) على بحر الخزر وسيبلغ عندئذٍ طولها ٦٠٠ ميل.

يزرع في المنطقة الحبوب والفاكهة والقطن .

وتنتج ٢٠٫٠٠٠ طن من القمح .

٢٤٫٠٠٠ طن من الذرة .

٥٤٠٫٠٠٠ طن من القطن .

وتربى فيها الحيوانات وبخاصة الماعزحيث يبلغ عدد قطيعها منه ٤ ملايين رأس .

كما وجد النفط في حوض (بنيت داغ) .

يبلغ عدد التركمان مليوني نسمة ، ولا يقيم منهم في بلادهم أكثر من مليون تركماني بينما يعيش الباقون مشردين في أنحاء متفرقة من العالم الاسلامي وبخاصة في العراق وتركيا وبلاد الشام ثم انتقلت أعداد منهم الى مصر والجزيرة العربية ، وفي سورية يعيش قسم منهم في شمال اللاذقية وغربي حمص وشمالي حلب ومنطقة الجولان هذا بالاضافة الى من يقيم منهم في المدن الكبرى مثل دمشق وحلب . فمن ياترى يستثمر هذه المشروعات؟ لا شك إن الروس والأوكرانيين هم الذين يستعمرون البلاد ، ومن أجلهم اقامت المشروعات . والواقع أن الأفواج الكبيرة من القادمين الجدد بدأت تتدفق على البلاد وتتركز في ميناء (كرازنوفودسك) ، ويظهر هذا من نسبب السكان التالية وتوزعهم : عام ١٣٤٥ هـ ، كان توزع الجنسيات كما يلي :

٧٨ ٪	تركمان
٠٦ ٪	روس
١٦ ٪	تتار وقوزاق وفرس وأرمن
١٠٠ ٪	

وعلى الرغم من أن نسبة التركمان هذه الكبيرة ، إلا أنهم لم يحصلوا على مركزهم في القيادة فقد وزع أعضاء مجلس الجمهورية عام ١٣٥٧ هـ كما يلي :

٥٥ ٪	للتركمان
٣٠ ٪	للروس
٠٩ ٪	أوكرانيون ويهود
٠٦ ٪	أقليات آسيوية .
٪١٠٠	

ومن هذا الجدول يظهر أن الروس هم الذين يحصلون على مقاعد أكبر من نسبتهم ويتبؤون مركز الصدارة ويحتلون خمسة أمثال نسبتهم العددية .

وبعد تسعة أعوام نشأ جيل جديد من التركمان تربوا على أيدي الروس ، ووافقوا على التعاون معهم فارتفع عدد مقاعد التركمان وانخفضت نسبة الروس ولكن بقيت بأيديهم المراكز الحساسة وفي الوقت نفسه ارتفعت نسبة الأوكرانيين ، وكان التوزيع عام ١٣٦٧ هـ على النحو التالي :

٦٦ ٪	تركمان
٢٢ ٪	روس
١٢ ٪	أوكرانيون

وعلى الرغم من أن الروس لايزالون قلة بالنسبة إلى التركمان إلا أن مقاليد الأمور كلها بأيديهم ولا يركنون أبداً لأبناء البلاد ولو كانوا على عقيدتهم ومن أكثر الناس إخلاصاً لأفكارهم ... ونقصد بالروس الروس والأكرانيين معاً ، والروس هم الذين

يشرفون على الأمن أيضاً ، وعلى المشروعات كافة .

ومن أشهر المدن في بلاد التركمان :

عشق أباد : حاضرة البلاد الآن ، ومحطة كبيرة للخطوط الحديدية التي تصل بين ميناء (كرازنوفودسك) ومدينة (مرو) وتقع قرب الحدود الإيرانية على ارتفاع ٣٥٠ م . وتقع إلى الغرب منها وعلى بعد عدة كيلو مترات منها أطلال مدينة (نسا) التي ينسب إليها عالم الحديث المشهور (النسائي) (ت ٣٣٠ هـ) ، والصيف فيها قاس قلما ينجو أحد فيه من المرض . وقيل إن سبب تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خراسان قصدوها فبلغ أهلها فهربوا ،ولم يتخلف بها غير النساء فلما أتاها المسلمون لم يروا رجلاً فقالوا : هؤلاء نساء والنساء لايقاتلن فننسأ أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن ، فتركوها ومضوا فسموها بذلك (نسا)، والنسبة الصحيحة إليها نسائي وقيل نسوي أيضاً .

ابيورد : وهي بين (نسا) و (سرخس) رديئة الماء ، فتحت على يد الأحنف بن قيس للمرة الأولى ، ثم فتحت على يد عبد الله بن عامر . وهي الآن غير موجودة ، وينسب إليها الأديب محمد بن أحمد الأبيوردي (ت ٥٠٧ هـ) .

تاذزهن : مدينة حديثة تقع على نهر (هراة) الذي ينسب في بلاد التركمان إليها ، وتقع على الخط الحديدي الذي يصل بين (مرو) و (عشق أباد) . وهي من قرى بيهق الكثيرة إذ أنها

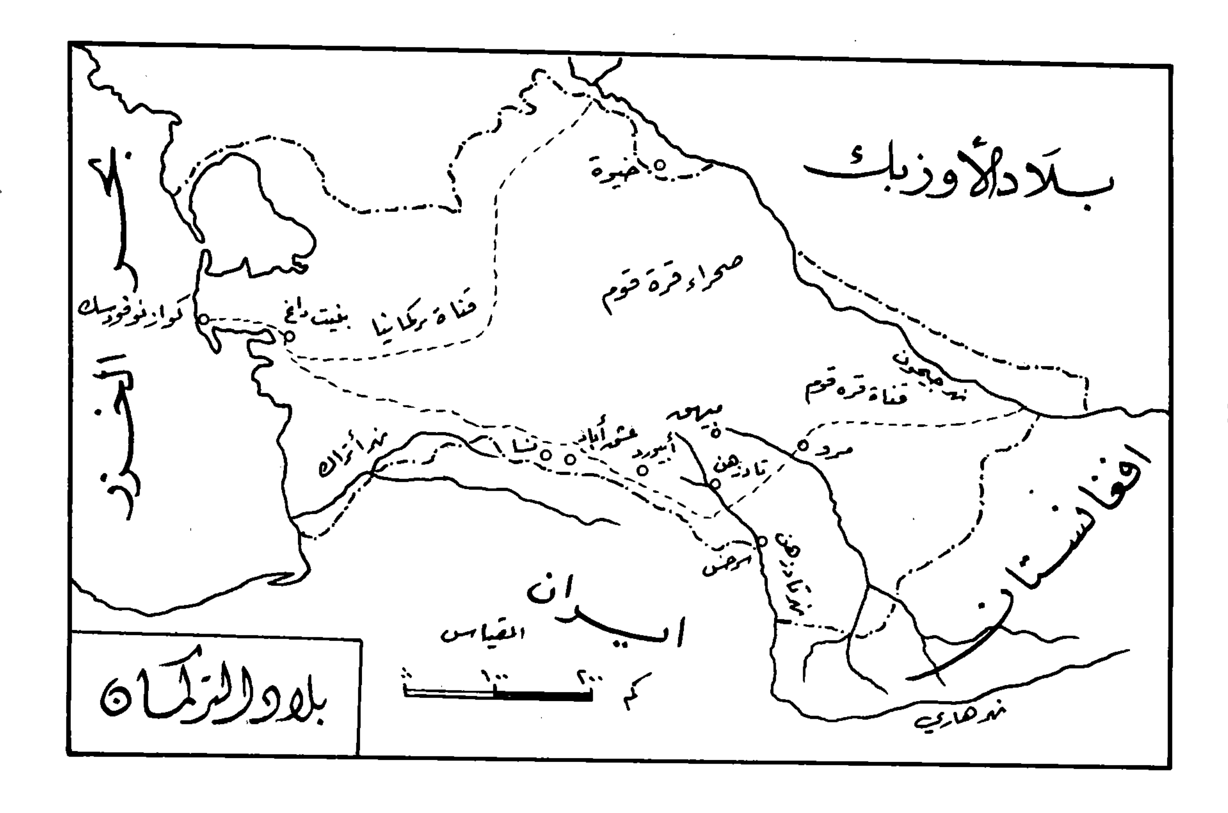
كورة كبيرة وناحية واسعة كثيرة البلدان والعمارة وتمتد من ناحية (نيسابور) حتى الصحراء .

مرو : هي مرو الشاهجان ، أو معناها نفس السلطان بالفارسية ، وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها . والنسبة إليها مروزي ، يرويها نهر (مورغاب) القادم من أفغانستان ، وتعد محطة كبيرة ومركزاً زراعياً .

كرازنوفودسك : الميناء المهم في بلاد التركمان ، ويقع على ساحل بحر الخزر الشرقي ، يكثر في هذه المدينة الروس والأوكرانيون القادمون لاستثمار خيرات البلاد واستعمارها ، وهي نهاية الخط الحديدي القادم من الداخل والأقنية المائية سواء أكانت قناة (تركمانيا) أم قناة (قره قوم) .

نبيت داغ : داغ في التركية معناها الجبل ، وقد بنيت هذه المدينة في سفح جبل منفرد هناك على الخط الحديدي الذي يمر جنوبي الجبل ... وهي مدينة نفطية ... حيث يستثمر النفط بالقرب منها .

وقد ضمت جمهورية بلاد التركمان جزءاً من بلاد ما وراء النهر اليها وهي المنطقة الواقعة شرقي نهر (جيحون) ، كما شملت أجزاء من ناحية (خوارزم) .


بحر الخزر
بلاد الأوزبك
بلاد التركمان
افغانستان
ايران
صحراء قره قوم
قناة قره قوم
قناة تركمانيا
خيوة
مرو
عشق آباد
ابيورد
نسا
سرخس
نهر أترك
نهر جيحون
نهر هاري
المقياس
كم

القسم الأفغاني

إن القسم الشمالي من أفغانستان يشمل أرضاً خراسانية تزيد مساحتها على ثلث مساحة بلاد الأفغان ، وتتألف من منطقة جبلية هي السفوح الشمالية والغربية لجبال هندكوش العالية ، ولما كانت المياه تنحدر نحو السفوح فهي تتجه نحو الشمال ونحو الغرب ، تتجه نحو الشمال الترفد نهر (جيحون) الذي يشكل الحدود في هذه الأيام بين أفغانستان وكل من بلاد الطاجيك والأوزبك والتركمان ، وتتجه نحو الغرب لتصب في نهر (مورغاب) و (هراة) ويشكل الثاني منهما الحدود بين إيران وكل من بلاد الأفغان والتركمان .

تكون نهاية أرض خراسان الجنوبية ذرا جبال (هندكوش) التي يصل ارتفاعها إلى ٥١٠٠ م ، وتنخفض في الغرب عند حدود إيران إلى ٥٠٠ م ، وفي الشمال عند حدود بلاد التركمان إلى ٣٠٠ م . وتخددها الأودية والسيول المنحدرة من الذرا فتشكل أعرافاً متوازية باتجاه مجاري المياه، حتى إن جبال هندكوش تعني جبال الأنهار لكثرة ما ينحدر منها ، وما يجري على سفوحها .

وليست تلك الجبال هي الجرداء كما يتوهم بعضهم وإنما هي وديان خضر تفصلها أعراف ، وما تلك الأعراف بالقاحلة ، وإن

كان بعضها كذلك فهو إما لصخوره المعراة في الشرق بسبب شدة الانحدار ، وإما للجفاف في الغرب لقلة الأمطار إلا أن أكثرها خضراء تغطيها الغابات أو تملؤها الشجيرات، وتنمو عليها الأعشاب، وهي في الربيع مختلفة الألوان باختلاف أنواع الزهور الطبيعية ، لا يشذ عرف ولا يختلف مرتفع سوى ما يبقى منها مكللاً بالثلج لارتفاعه يسطع بياضه ، وتنعكس عليه أشعة الشمس كلون من الورود الأخرى . وتبقى القمم شاهقة في الشرق ، مهما شرّق الإنسان بقيت سامقة أمامه كأنه لا نهاية للارتفاع ، ويستمر العلو كلما ارتقى المرء قمة لحظ هناك أعلى منها ، ويبقى الصعود أمام ناظريه .

هذه الأودية التي تملؤها النباتات تعيش في أحضان يحميها انخفاضها من برد الرياح العاتية من أين جاءت ، ومن لفحات الصقيع تحملها نسمات الشمال أو تدفعها زوابع ثلوج القلل . تحيا بالدفء فيأوي إليها الإنسان ، ويركن إليها الحيوان ، فتطفح بالحيوية ، وتنعم بالنشاط وإن كان ما حولها هادئاً ساكناً من شدة البرد لا يقطع هذا الهدوء إلا صفير ريح باردة أو صوت زوبعة ثلجية أو حركة حيوان أضناه الجوع فخرج يفتش عن وجبة له في صيد ، وقد التحف فروته يقتل بها برد الشتاء القارس ، وقد يشتت السكون في الغرب إعصار مطر أو عاصفة وإن كان حدوثهما قليلاً وزمنهما ضئيلاً .

هذا الهدوء الذي يخيم في الشتاء على الأعراف والقلل ينقلب

إلى حركة مستمرة ونشاط دائب منذ أن يبتدىء الجـو بالدفء فيقطع تفكير الإنسان ناي الراعي وصوت البـدوي ينتقل وراء حيواناته ، وحركة القبائل والعشائر تنقل أثاثها وتحمل خيامهـا إلى المصيف وصوت الفراشات ترود المكان وتختلف من زهـرةٍ إلى أخرى وقد فتقها برد الندى فأخرجت ما كانت تخفيه من عبير فاح فملأ سفوح التلال برائحته • ويبقى الثرى ببرد الطل مـدةً وببعض خيوط المـاء تلمع تحت أشعة الشمس تنساب بهدوء من بقع الثلج فتخدد الأرض ، وتجعل فيها انخفاضات وئيدة ، وتظهر الأغنام مصطفة على جانبيها تروي ظماءها •

أما السهول فتمتد في الشمال في مناطق ضيقة قريبـة مـن مجرى نهر (جيحون) ولا يزيد ارتفاعها على ٣٠٠ م ، وترويهـا المياه المنحدرة من الجبال والتي يصل بعضها إلى النهر على حـين يغيض أكثرها في رمال المنطقة • وكذا توجد سهول في الغرب حول مدينة (هراة) وعلى مجرى النهر الأوسط الذي يعرف باسم نهر (هاري) • وتجري المياه في بطون الأودية على شكل خيوط من الماء يغذيها ذوبان الثلوج ، وإن كان عدد الأودية كبـيراً إلا أن معظمها يجف أكثر أيام السنة لقلة المطر ، وهي تمتلىء بالماء إثـر الزخات ، وتفيض في فصل الربيع بسبب ذوبان الثلوج ، وتشـح فيما عدا ذلك لشدة الحرارة التي تؤدي إلى زيادة التبخر ، وقلة التغذية ، والاستفادة من بعض ما يجري فيها بالري ، وإذا ما زاد على ذلك استمر الجريان حتى وصل إلى المستوى الأساسي سواء

آكان إلى نهر جيحون أم إلى نهر هراة، ويغيض في الرمال فتتشكل بعض المستنقعات الموقتة •

يعيش أكثر السكان على الزراعة ، ويزرعون الحبوب من قمح وذرة وشعير ورز إضافة إلى القطن وقصب السكر والشوندر السكري والعنب والمشمش والتفاح وأنواع الفاكهة ، ويعتمد ثلثا الأرض الزراعية على الري والباقي على المطر ، كما يوجد الجوز والفستق بشكل طبيعي •

وتربى الحيوانات في المنطقة وأهمها الخيول والأغنام الجيدة والتي يؤخذ منها الصوف الجيد وهي « الكراكول » إضافة إلى الأغنام العادية والتي يسمونها عربية •

وتربى دودة القز في مقاطعات (بغلان) و (بلخ) و (هراة) بشكل خاص ، وتزخر الوديان بخلايا النحل •

وتزخر مرتفعات (هندكوش) بالمعادن ومنها الرصاص والمنغنيز والقصدير والنحاس كما يوجد الفحم والمرمر في عدة مناطق•ويصنع في البلاد المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية، إضافة إلى صناعة السجاد التي لها شهرة عالمية •

يسكن منطقة خراسان التي تتبع بلاد الأفغان (البوشتن) ويمثلون خليطاً من العناصر الفارسية والتركية ، ويعملون في الزراعة يمتهنون الرعي ، ويمتازون بالقامة الطويلة ولون البشرة الأسمر ، والشعر الأسود المموج ، وقد اعتادوا تحمل المشاق

بسبب طبيعة بلادهم ووعورة جبالها • وهناك (الطاجيك) وهم عناصر فارسية ويسكنون الوديان العليا من إقليم (طخارستان)، العليا وسط البلاد حتى الغرب حيث يعمرون السهول الغربية حول مدينة (هراة) ، ويعملون في الزراعة والصناعة والتجارة • ثم هناك الأتراك حيث نجد (الأوزبك) و (القيرغيز) و(التركمان) وبعض (القوزاق) وإذا كان أكثرهم يعيش على الضفاف الجنوبية لنهر (جيحون) فإن (القيرغيز) ينتقلون في هضبة (بامير) ، ويرعون الأغنام والماعز والخيول وحيوان (الياك) • وهناك مجموعات قليلة من العرب •

تعدّ (البشتو) اللغة الرسمية ، وكذلك اللغة الفارسية لغة (الطاجيك)، والفارسية هي المستعملة في الإدارة والتجارة والثقافة لما لها من ماض حضاري ، ولكن ٤٠٪ من كلمات اللغة المستعملة هي من أصل عربي سواء أكانت لغة (البشتو) أم كانت اللغة الفارسية ، كما أن كلتا اللغتين تكتبان بأحرف عربية • وتحتل اللغة العربية مركزاً مرموقاً في الدراسة لأنها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه إضافة إلى أنها تشكل مادة أساسية لمعرفة أصول اللغة الأفغانية فهي تدرس في المدارس جميعها على أنها جزء متمم لتدريس التفسير والحديث والفقه • وتقوم بعض المدارس على تدريس مادة اللغة العربية فقط مثل (فخر المدارس) مدينة (هراة) • والسكان جميعهم من أهل السنة والجماعة وإن كان قسم كبير منهم من أصل فارسي إذ أن الشيعة لا ارتباط لها

بالفرس ـ كما يظن ـ وإنما وجـدت حيث فرضها (أولجايتو) والصفويون ـ كما رأينا ـ في منطقة معينه أكثر أهلها من الفرس.

وأشهر المدن الخراسانية في هذا القسم :

بلخ : مدينة تاريخية قديمة ، كانت عاصمة (إيريانا) القديمة، وكانت تحمل اسم (باكتريا) ، وتقع على نهر يعرف باسمها حيث تصلها قناة (ايسكاباد) ، وهي إلى الغرب من مدينة (مزار شريف). على مسافة مائة كيلو متر منهـا تقريباً ، وتعرف المقاطعـة اليوم باسمها على الرغم من أن حاضرتها مدينة (مزار شريف) . وكانت مركز (طخارستان) .

وقد هدمها (جنكيز خان) ، وخرّب من مسجدها نحـو الثلث بسبب كنز ذكر له أنه تحت سارية من سواريـه ، وتعرف اليوم باسم (وزير أباد) . ويقول ياقوت : وبلخ من أجمل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة ، تحمل غلتها إلى جميع (خراسان) وإلى (خوارزم) . ويقال لنهر (جيحون) نهر بلخ .

هراة : والنسبة إليها هروي ، كحماة وتقع على مجرى نهر (هاري) ، ولعل اسمها مشتق منه ، وتنتشر حولها السهول وتؤول إليها مياه السفوح الغربية ومنحدرات الجبال ، ويزيد عدد سكانها اليوم على ٢٠٠ ألف نسمة ، ومن مساجدها المسجد الجامع الأثري الذي يعود بناؤه إلى القرن التاسع الهجري ، وكان يعدّ آنذاك

أهم جامع في آسيا الوسطى كلها • وكان التتار قد خربوا هـذه المدينة أثناء اجتياحهم للمنطقة عام ٦١٨ هـ •

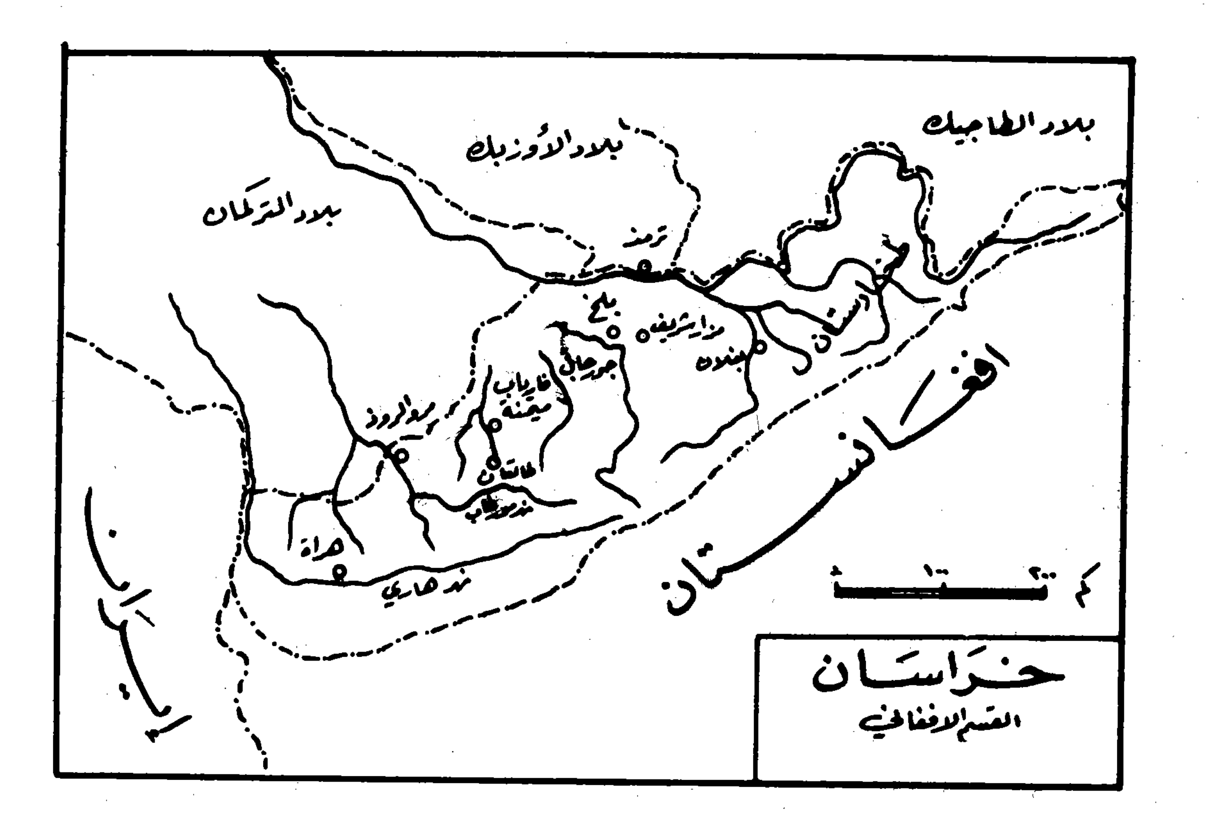
مزار شريف : مدينة قديمة أيضاً وهي مركز مقاطعة (بلخ) ، وتشتهر بتجارة فراء الكراكول •

جوزجان : اسم كورة واسعة من كور (بلخ) بخراسان بين (مرو الروذ) و (بلخ) ، وتوجد اليوم مقاطعة في أفغانستان تحمل هذا الاسم وتقع إلى الغرب من مقاطعة بلخ •

فارياب : مدينة مشهورة بخراسان من أعمال (جوزجان) ، بين (بلخ) و (مرو الروذ) ،وتعرف اليوم مقاطعة بهذا الاسم ومركزها مدينة (ميمنة) وهي (ميمنة جوزجان) •

طالقان : توجد بلدتان تحملان هذا الاسم إحداهما بخراسان بين (مرو الروذ) و (بلخ) ، بينهما وبين (مرو الروذ) ثلاث مراحل ، وقال الإصطخري : أكبر مدينة (بطخارستان) طلقان ، وهي مدينة في مستوى من الأرض بينها وبين الجبل غلوة سهم ، ولها نهر كبير وبساتين • ويقال لها طالقان مرو الروذ •• أما الثانية فهي قرب قزوين •

بغلان : وهي مدينة كبيرة حاضرة مقاطعة تحمل اسمها وتقع جنوبي (بلخ) إلى الشرق •


خراسان
القسم الافغاني
افغانستان
ايران
بلاد الطاجيك
بلاد الأوزبك
بلاد التركمان
ترمذ
بلخ
مزار شريف
فارياب
ميمنة
طالقان
مرو الروذ
هراة
نهر هاري
كم

القسم الإيراني

تشمل إيران جزءاً من خراسان ويشمل هذا الجزء منطقتين :

الأولى : إقليم طبرستان .

الثانية : نيسابور .

١ – إقليم طبرستان : ويسمى اليوم إقليم (**مازندران**) ويشمل المنطقة المحصورة بين جبال (البوز) وسواحل بحر(الخزر) وتروي هذه البقعة الأمطار التي تهطل على المرتفعات في فصل الشتاء والمياه المنحدرة من الجبال والمنسابة نحو البحر وهي أنهار قصيرة سيلية المجرى في أغلبها ، ثم هناك نهر (جرجان) ، وينتجه من الشرق الى الغرب وتقع عليه مدينة (جرجان) ، ونهر (أتراك) الذي يشكل في بعض أقسامه الحدود بين إيران وبلاد التركمان .

ويزرع فيهذه المنطقة الرز والشايوالجوت والتبغ والفواكه كما توجد أشجار النخيل في الجهات المنخفضة .

ويصاد سمك (الكافيار) من بحر الخزر . وتنمو أشجار البلوط والدردار والصنوبر في أعالي الجبال التي تساعد أمطارها على نمو هذه الأشجار .

يبلغ عدد سكان هذا الإقليم ٢٫١٩٥٫٠٠٠ نسمة وينتمي أكثرهم إلى الشيعة وأشهر المدن :

ساري : وتقع على ضفاف نهر تنساب مياهه من الجبال في المكان الذي ينتهي مجراه الجبلي ويدخل المنطقة السهلية ، وهي

حاضرة الإقليم وتقع على الخط الحديدي الـذي يصل (طهران) بمدينة (جرجان) •

بندر شاه : وهي ميناء الإقليم على بحر الخزر •

جرجان : قيل : إن أول من أحدث بنائها (المهلب بن أبي صفرة) ، وهي نهاية الخط الحديدي القادم من (طهران) ، وتقع على نهر يعرف باسمها • وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ ألّفه (حمزة بن يزيد السهمي) •

٢ ـ منطقة نيسابور : وقد ضُمّ إليها إقليم (قوهستان) وحملت اسم محافظة خراسان وهي منطقة جبلية تتألف من ثلاث سلاسل جبلية : يكـون اتجاه الأولى والثانية مـن الشمال نحو الجنوب الشرقي ، وتأخذ الثالثة اتجاهاً عرضياً من الغرب إلـى الشرق •

تعدّ ذرا الأولى حدوداً فاصلة بين إيـران وبلاد التركمان ، ويجري بينها وبين الثانية المجرى الأعلى لنهـر (أترك) في الغرب بينما يسير في القسم الشرقي نهر (مشهد) وبين المجريين ترتفـع عتبة (قوشان) ، وأشهر المدن تقع بين السلسلتين وهي : (قوشان) و (مشهد) و (طوس) • وبين السلسلة الثانية والثالثة تجري نحو الغرب سيول تنتهي في حفرة مغلقة تقع على حدود خراسان الغربية ، ونحو الشرق روافد نهر (مشهد) الذي يرفد بدوره نهر (هراة) الذي يجري على الحدود الشرقيـة لإيران مـع بلاد التركمان ، وكذلك يمر الخط الحديدي الذي يصل بين (طهران) و (مشهد) •

وبعـــد السلسلة الثالثة يصبـــح اتجاه الجبـــال بين الشمال والجنوب ، وبين الاختلاف في اتجاه الجبال يكون مدخل خراسان نحو مدينة (هراة) حيث تنخفض المرتفعات ، ومن هذا المكان كان دخول الجيوش الإسلامية إلى خراسان وكان تحركها نحو الشرق • والأمطار التي تتلقاها المنطقة تؤول إلى منخفضات مغلقة تنتهي فيها فتشكل سبخات معروفة ، أو تغيض هناك في الرمال ، ويشمل هذا الإقليم جزءاً من صحراء (لوط)•

يبلغ عدد سكان هذا الاقليم مايقرب من ثلاثة ملايين ، يمت أكثرهم إلى أصل تركي، وينتمي أغلبهم لمذهب أهل السنة والجماعة ومن أهم المدن المعروفة هي :

مشهد : أكبر مدن خراســان الإيرانية اليوم ،وهــي حاضرتها، يبلغ عدد سكانها نصف مليون نسمة، وهي مركز مقدس عند الشيعة حيث فيها مقام لضريح الإمام الثامن (علي الرضا[1]) ، ويحجون إليها ، وعلى الضريح قبة مذهبة ترى من كان بعيـــد ، ومنارتان مذهبة أطرافهما ، ويسمى الحاج إليها عند الشيعة باسم

---

(١) علي الرضا : ولد في المدينة المنورة عام ١٥٣ هـ ، عهد اليه المأمون بالخلافة بعده ، وزوجه ابنته ، فثار العراق على المأمون ، وبايعوا عمه فسار اليهم بجيش من طوس فانتصر عليهم وعفا عن عمه ، مات علي الرضا في حياة المأمون عام ٢٠٣ هـ في طوس ، فدفنه المأمون بجانب أبيه الرشيد .

مشهدي ، كما يوجد فيها ضريح (هارون الرشيد [1]) • وهي محطة كبيرة إذ ينتهي إليها الخط الحديدي المتجه من (طهران) إلى المشرق • ويمر منها النهر المعروف باسم المدينة ليرفد نهر (هراة) عند الحدود ، وقد يسمى بنهر (الكاشف) •

ومشهد مدينة حديثة كانت ضمن بساتين مدينة (طوس) •

طوس : إلى الشمال الغربي من (مشهد) وعلى بعد ٢٠ كم تقوم مدينة (طوس) التاريخية على ضفة النهر اليسرى وهي الآن قرية صغيرة عامرة •

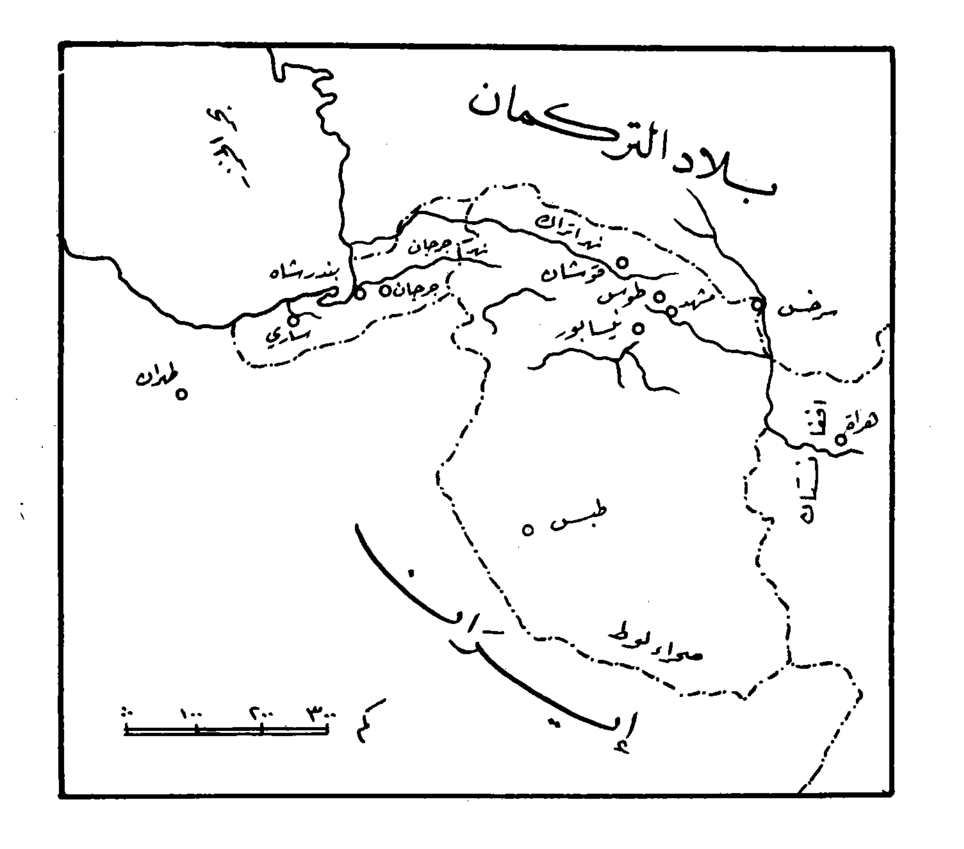
نيسابور : إلى الجنوب الغربي من (مشهد) وعلى بعد ١٢٥ كم منها تقع مدينة نيسابور المدينة التاريخية المشهورة وحاضرة الدولة الطاهرية الثانية •

طبس : المشرفة على مدخل خراسان نحو (هراة) •

سرخس : وقد أصبحت بعد تقسيم خراسان مدينتين إحداهما في بلاد التركمان والأخرى في إيران وتفصل الحدود بينهما •

---

(١) هارون الرشيد : ولد بالري عام ١٤٩ هـ ، خامس خلفاء بني العباس وأشهرهم ، كان يحج عاما ويغزو عاما ، انتصر على الروم في أكثر غزواته ، وأوغل في بلادهم ، وأخذ منهم الجزية ، توفي عام ١٩٣ هـ في احدى قرى طوس ، بعد أن حكم مدة ٢٣ سنة .


بلاد التركمان
نهر اترك
نهر جرجان
بندر شاه
جرجان
قوشان
طوس
مشهد
نيسابور
سرخس
ساري
طهران
هراة
افغانستان
طبس
صحراء لوط
ايران
كم ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠

وهكذا نجد أن ولاية خراسان تقع اليوم ضن ثلاث دول إحداها وهي بلاد التركمان وتقع تحت السيطرة الروسية ، وتشمل القسم الأكبر من خراسان إذ أن توزع الولاية على الشكل التالي :

٤٥٠٫٠٠٠ كم٢ من ولاية خراسان ضمن بلاد التركمان .

٢٠٠٫٠٠٠ كم٢ من ولاية خراسان ضمن بلاد أفغانستان .

١٠٠٫٠٠٠ كم٢ من ولاية خراسان ضمن إيران .

٧٥٠٫٠٠٠ كم٢ .

وبذا تكون مساحة بلاد خراسان ثلاثة أرباع المليون من الكيلومترات المربعة ، ويسكنها أثنا عشر مليوناً من البشر منهم :

٤٫٢٥٠٫٠٠٠ من أصل تركي وهم (التركمان) و(والقيرغيز) و (الأوزبك) و (القوزاق) .

٣٫٧٥٠٫٠٠٠ من أصل فارسي وهم (الطاجيك) في أفغانستان وسكان إقليم (مازندران) في إيران .

٣٫٥٠٠٫٠٠٠ من أصل مختلط من الفرس والترك وهم (البشتو) في أفغانستان .

٥٠٠٫٠٠٠ من أصل روسي وهم المستعمرون الذين يتسلمون مقاليد بلاد التركمان .

١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة

ونرجو أن يأتي اليوم الذي يتوحد فيه المسلمون ، وتعود خراسان ولاية وحدها ضمن العالم الإسلامي وترتفع كلمة التوحيد خفاقة فوق ربوعها .

الفهـرس